الصلات الثقافية لبلاد الهوسا مع مصر والبورنو في القرن الثامن عشر الميلادي

أ. عمر حمد محمود (*) أ.د/ عبد الله عبد الرازق (**) أ.د/ أحمد عبدالدايم(***)

مُلخّص:

مصر هي البوابة الشرقية لأفريقيا ومنذ أن دخل الاسلام إليها منذ حوالي ٢٠هـ /٦٤٠م , وأصبحت هي القاعدة الرئيسية التي انطلقت منها الفتوحات العربية الإسلامية إلى شمال وغرب أفريقيا, ومن هنا تكمن أهمية دراسة صلات بلاد الهوسا مع مصر, لكون الأخيرة قد أدت دوراً ثقافياً هاماً, باعتبارها منارة إسلامية زاهرة جذبت إليها طلاب العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامي. وتسعى الدراسة إلى تقديم مختلف المؤثرات الفكرية والاجتماعية الوافدة من مصر– عبر الصحراء الكبرى – إلى بلاد الهوسا , وتجدر الاشارة إلى وجود جذور علاقات اقتصادية بين مصر وبلاد السودان الغربي, ازدادت بفضل انتشار الإسلام واتساع رقعته بالإضافة إلى تفضيل شعوب غرب إفريقيا طريق مصر كطريق للحج . كذلك لا يخفى الدور الذي قامت به مملكة البورنو في نشر الإسلام في بلاد الهوسا, عن طريق التجارة والتجارالبورنويون الوافدون إلى يلاد الهوسا، حيث أدى موقع مملكة بورنو جنوب غرب بحيرة تشاد ، في وادي متسع ذات تربة غنية سوداء, إلى وجود نشاط اقتصادي متبادل بينهما. وبدأت الاتصالات بين الهوسا وشعوب الكانوري والفولاني والعرب وغيرها، وكانت هذه الشعوب قد استقرت لمدة طويلة في البورنو, حيث ظهرت روابط تجارية قوية وصلات وطيدة مع إمارات الهوسا ، بالإضافة لظروف سياسية أدت لبسط نفوذ بورنو على بلاد الهوسا. وتكتسي العلاقات مع كانم– بورنو في تاريخ بلاد الهوسا أهمية فائقة؛ لأنه من هذه العلاقات استعيرت عدة عناصر ثقافية وأفكار جديدة صارت فيما بعد جزءاً لا يتجزأ من ثقافة الهوسا وحضارتها.

(*) باحث دكتوراه – كلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

(**) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

(***) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

The Cultural links of Hausa Lands withEgypt and Al-Borno in the Eighteenth Century A.D.

Abstract:

Egypt is the eastern gateway to Africa and since Islam entered Egypt around 20 A.H/ 621 A.D, and Egypt became the main base from which it was launched Including the Arab and Islamic conquests to North and West Africa, hence the importance of studying the ties of Hausa Lands with Egypt, because Egypt has played an important cultural role, as a shining Islamic beacon that attracted scholars from all over the Islamic world, and the study seeks to present various intellectual and social influences It is worth noting that there are roots of economic relations between Egypt and the countries of Western Sudan, which have increased thanks to the spread of Islam and the expansion of its area, in addition to the preference of the peoples of West Africa through Egypt as a pilgrimage route. Also, the role played by the Borno Sultanate in spreading Islam in the Hausa Lands, through trade and merchants coming to it from Borno, does not betray. The contacts between the Hausa peoples, the Kanuri peoples, the Fulani, the Arabs, and others, and these peoples had settled for a long time in Borno, where strong commercial ties and close ties with the Hausa principalities emerged, because from these relations several cultural elements and new ideas were borrowed, which later became an integral part of the Hausa culture and civilization.

مقدمة

من أولى ما تتطلبه دراسة الصلات الثقافية لبلاد الهوسا مع كل من مصر والبورنو وتأثيرها في مجتمع بلاد الهوسا في القرن الثامن عشر الميلادي, دراسة جغرافية الأرض التي قامت عليها تلك الأحداث, ودراسة السكان الذين قاموا بها عنصران لهما من الأهمية دوراً هاماً في تشكيل الشخصية الإفريقية .

أما الأرض, بفضل موقع بلاد الهوسا المتميز في الجزء الشمالي من نيجيريا الحالية , وبالتحديد الحيز الذي استوطنته جماعات الهوسا ما بين الصحراء الكبرى في الشمال, حتى الغابات الاستوائية في الجنوب, ومن حد منطقة سلطنة بورنو وبحيرة تشاد في الشرق, حتى وادي النيجر في الغرب, وقد تميزت هذه المنطقة بخصوبة أرضها وجودة مناخها مما جعلها منطقة جذب للسكان, وملاذا لهجرات القبائل العربية والبربرية الصحراوية الملثمين والسودانية المحلية ومناطق أخرى, شملت خليطاً من الأجناس البشرية من فصائل عرقية متعددة. وكذلك عناصر الكانوري والفولاني القادم من سلطنة بورنو وعناصر أخرى.

وبالتالي توافرت صلات وفرص للتمازج بين المفاهيم والمعتقدات المختلفة, مما أتاح مناخاً للتفاعل بين التيارات الوافدة من مصر والبورنو والمقيمة,الأمر الذي كان له نتائجه وانعكاساته الثقافية على الحياة الاجتماعية في بلاد الهوسا في القرن الثامن عشر الميلادي.

ومن هذا المنطلق فقد كان سبب اختياري لموضوع الدراسة لعدة اعتبارات:

الأمر الأول, إن دراسة الصلات الثقافية لبلاد الهوسا مع كل من مصر الإسلامية والبورنو وتأثيرها على مجتمع الهوسا في القرن الثامن عشر الميلادي, من المواضيع الهامة, التي مازالت تحتاج إلى المزيد من البحث والاستقصاء والدراسة والتحليل, خصوصاً في القرن الثامن عشر الميلادي, ولم يتطرق إليه الباحثون من قريب أو بعيد, غير أن هناك دراسات مختلفة تناولت الصلات ومؤثراتها الثقافية العربية الإسلامية في المجتمع السودان الغربي , في فترات زمانية مختلفة , قبل أو بعد, فترة الدراسة, لذلك أصبح مطلبا بحثياً لتكون الدراسة حلقة وصل للكتابات السابقة واللاحقة, حتى تتم الاستفادة منها .

وأما الأمر الثاني؛ في اختيار كلا من مصر والبورنو أنموذجاً لصلات بلاد الهوسا يرجع إلى: أ- أهمية موقع مصر الجغرافي باعتبارها البوابة الشرقية, التي انطلق منها الإسلام وثقافته إلى بلدان أفريقيا الشمالية والغربية, وتمثل نقطة نهاية لطرق القوافل التجارية المحملة بالبضائع والمنتجات المحلية والعبيد الوافدة من بلاد السودان الغربي عبر طرق الصحراء الكبرى,

التي ارتادها التجار العرب والأفارقه منذ دهور لا نعلم وقتها بالتحديد.غير إن الفترة الممتدة بين القرنيين السابع والثامن عشرالميلادي,أتسمت بأهمية حاسمة فيما يتعلق بالروابط عبر الصحراوية؛ بسبب انتشار الإسلام وحضارته, وبالتالي قدنمت خطوط الاتصال المنتظمة, عبر طرق تغيرت على مر السنين. بالإضافة إلى أن مصر بموقعها, قد فضلها الأفارقه كمحطة للاستراحة أثناء رحلات الحج بل والإقامة لحصد الإجازات العلمية من الأزهر الشريف, وأصبحت همزة وصل بين بلاد الحجاز وثقافته العربية الإسلامية وبلاد أفريقيا الغربية, بالإضافة إلى دورها الريادي في الصلات الثقافية الإسلامية مع بلاد الهوسا.

ب- كذلك أهمية موقع البورنو من بلاد الهوسا والملاصق من الجهة الشرقية, أدى إلى صلات تجارية, بالإضافة لظروف سياسية لبسط نفوذ بورنو على بلاد الهوسا. وتكتسي العلاقات مع كانم- بورنو في تاريخ بلاد الهوسا أهمية فائقة؛ لأنه من هذه العلاقات استعيرت عدة عناصر ثقافية وأفكار جديدة صارت فيما بعد جزء لا يتجزأ من ثقافة الهوسا وحضارتها.

والأمر الثالث: دخول الإسلام تدريجياً إلى بلاد الهوسا في مجتمع كانت ثقافته وثنية تعتمد عاداتهم وتقاليدهم على الأحكام العرفية التقليدية, والخرافات والبدع والشعوذة والسحر في تدبير شؤون حياتهم, وأن تحولهم واعتناقهم الدين الإسلامي, جدير بالبحث عن العوامل والوسائل التي مهدت الطريق لدخول الإسلام وثقافته ليكون أهم ما يميز مجتمع هوسا في هذا الإقليم بغربي أفريقيا, بالإضافة إلى أن منطقة بلاد الهوسا لم تحظ بالتغطية الشاملة للحياة الاجتماعية والثقافية خلال القرن الثامن عشر الميلادي .

وتستهدف الدراسة :

١- كشف أهمية الصلات لبلاد الهوسا مع مصر والبورنو في تحديد ملامح الثقافة والشخصية الهوساوية وفهمها فهماً صحيحاً في إطار تاريخ الهوسا العريق وإسهامهم الجليل في نشر الإسلام واللغة العربية في غرب أفريقية, وتبيان مظاهر الحياة الاجتماعية لدى شعب الهوسا, ومدى تأثير الحضارة والثقافة الإسلامية .

٢- إبراز اسهام أشهر علماء بلاد الهوسا ودورهم في تاريخ الدعوة إلى الإسلام وتعميق مفاهيمه بالوسائل التربوية التعليمية, لدى طلاب العلم , في المسائل السياسية والدينية والقضايا المختلفة , بفضل صلات ثقافية وافدة لبلاد الهوسا من مصر والبورنو.

٣- التكامل بينقبائل بلاد الهوسا وبينشعوب المناطق المجاورة لها في الإقليم على أساس الدين الإسلامي واللغة العربية كأساس للتواصل الحضاري بينهما, لتحقيق هدف الاستمرارية في الإقليم والحفاظ على المصالح المشتركة في القارة السمراء.

وفيما يتعلق بمصادر الدراسة: فقد اعتمدنا على مصادر أصلية نذكر منها, تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان, والذي ينسبه العديد من المؤرخين والكتاب لمؤلف مجهول, بالإضافة إلىحولياتكانو,وبعض مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي,وأيضاً مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي, وكذلك كتاب إنفاق الميسور في أخبار تاريخ بلاد التكرور: من مؤلفات محمد بللو ابن عثمان فودي, وهذا الكتاب من مصادر التاريخ المحلي لهذه منطقة السودان الغربي, خاصة منطقة الهوسا, حيث أفادنا في أخبار شعوب بلاد الهوسا.كما اعتمدت على بعض الكتب , منها كتاب حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وأثارها الحضارية للباحث مهدي رزق أحمد عوض, حيث تطرق الكتاب إلى حركة التجارة وانتشار الإسلام في منطقة السودان الغربي عامة وبلاد الهوسا خاصة, التي كان لها مساهمة في توطيد الصلات الثقافية بين الشمال الأفريقي ودول جنوب الصحراء. وأيضاً كتاب قبائل الهوسا دراسة وثائقية, للمؤلف الهادي المبروك الدالي, أفادنا بمعلومات قيمة عن أحوال جماعات الهوسا وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية والثقافية وأهم علمائهم. كذلك كتاب رحلة لاستكشاف أفريقيا,ج١, ج٢, تأليف: الميجور/ دنهام والكابتن/ كلابرتون والرحالة أودنى, ترجمة: عبد الله عبد الرازق إبراهيم, أفادنا كثيراً بالمعلومات عن أحوال المنطقة من عادات وتقاليد وغيرها, اثناء رحلتهم من سلطنة بورنو شرقاً صوب نهر النيجر غرباً, مروراً بإمارات الهوسا, بالإضافة إلىالمؤلفات الأخرى كتبها زوار هذه المنطقة من الرحالة العرب والاجانبوغيرهم. وكذلك مؤلفات المؤرخين السودانيين منهم: الشيخ "آدم عبد الله الألوري" مؤلف كتاب الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفولاني, كما اعتمدنا على المؤلفات والمقالات الحديثة العربية والمعربة والأجنبية, على سبيل المثال: كتاب الدعوة إلى الإسلام, ترجمة حسن إبراهيم,للمؤلف: توماس ارنولد. ولقد حاولت قدر الإمكان الاستفادة من هذه الكتب كلها في موضوع الدراسة. وقد أوردنا ثبتا بها في نهاية هذه الدراسة.

وتسعى الدراسة إلي الاجابة عن تساؤل رئيس هو: كيف أثرت الصلات مع كل من مصر والبورنو في بلاد الهوسا ؟ كما تحاول الدراسة الاجابة عن أسئلة فرعية عديدة: من هم هذا الشعب ؟ ومن أين جاء ؟ وما هي العوامل المؤثرة في الصلات الثقافية وانعكاساتها على بلاد

الهوسا ؟ وإلى أي مدى استفادة بلاد الهوسا من التراث العربي الإسلامي لتحقيق التكامل العربي الأفريقي على المستوى المحلي والإقليمي؟ .

ثم قسمنا الدراسة إلي أربع مباحث :

تناولنا في **المبحث الأول** بلاد الهوسا من حيث الموقع الجغرافي وأهميته كموقع استراتيجي لاستقبال القوافل التجارية القادمة من الشمال الأفريقي , وتناولنا أصل جماعات الهوسا والآراء المختلفة حول أصلهم وموطنهم الأصلي.

وأفردنا **المبحث الثاني** لدراسة العوامل المؤثرة في الصلات الثقافية لبلاد الهوسا, شملت الطرق وانتشار الإسلام والتجار والتجارة والدعاة والطرق الصوفية وغيرها, والتي ساهمت بشكل كبير في نقل مختلف المؤثرات الفكرية والاجتماعية عبر الصحراء إلى منطقة السودان الغربي وما إليها .

ثم استعرضنا في **المبحث الثالث:** الصلات الثقافية الخارجية لبلاد الهوسا مع مصر الأزهر ودوره الريادي في نشر الثقافة الإسلامية العربية إلى مختلف البلاد الأفريقية جنوب الصحراء وما إليها .

وتناولنا في **المبحث الرابع** مملكة البورنو, موقعها والممارسات التجارية بين البورنو وبلاد الهوسا, وتطور ثقافة الشخصية الهوساوية التي أصبحت من أهم مظاهر الثقافة الإسلامية .

المبحث الاول:
بـــلاد الـــهـــوســـا

بلاد الهوسا تتصل اتصالاً طبيعياً بالصحراء الكبرى, والطبيعة حددت وسيلة هذا الاتصال وطريقته, هذه الصحراء التي لا تتصل بساحل المحيط الأطلسي اتصالاً مباشراً, ولكنها تترك سهلاً ساحلياً يجعل الاتصال عبره ممكناً بين الشمال والجنوب. عبر هذه الطرق, اتصل الهوسا بالسهل الخصيب, الواقع جنوب الصحراء الكبرى اتصالاً قديما متصلا, وكانت التجارات لا تفتأ تتبادل بين شمالها وجنوبها هذه التجارة التي كان لها شأن كبير في غرب أفريقيا, وكانت الأوطان الزنجية في حاجة ملحة ومستمرة إلى المنتجات الواردة من الشمال الأفريقي. وكان تجار قبائل الهوسا التي استفادت من أهمية الطرق التجارية[١]؛ مما جعل منطقة بلاد الهوسا أرضا خصباً قابلة للحياة والاستيطان بفضل موقعها.

١- الموقع الجغرافي:

تقع بلدان هوسا في شمال نيجيريا وجنوب جمهورية نيجر(Niger), وتحدها بلاد بورنو في الشرق إلى الضفة الغربية لنهر النيجر, والصحراء الكبرى في الشمال, ونهر بنيوي (River Benue) في الجنوب[٢], بين خطى عرض ١٠,٢٥ درجة و ١٣,٥ درجة شمالا, وبين خطى طول ٤درجات و ١٠ دراجات شرقاً [٣]. وهو الحيز الذي سكنه الهوسا في منطقة تمتد من جبل

---

(١) حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقية, مصر, ١٩٦٣م, ص١٩٠.

(٢) رحمة بنت أحمد عثمان, ومحمد جامع عبدالله: الخصائص العامة للشعر العربي في ولايتي هوسا ويوربا, نظرات مقارنة, بحوث ودراسات, التجديد, المجلد١٩, العدد٣٧, الجامعة الإسلامية العالمية, ماليزيا, ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م, ص١١٣. , محمد عبدالغني سعودي: أفريقية " شخصية القارة في شخصيةا لأقاليم" مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, ١٩٩٧م, ص٢٢٧.

(٣) حسين سيد عبدالله مراد: دولة كانو الإسلامية " تطورها السياسي والحضاري حتى نهاية القرن٩هـ /١٥م " , مجلة الدراسات الإفريقية, معهد البحوث والدراسات الإفريقية, العدد٤٧, القاهرة, ١٩٩٧م,ص٥. , وأنظر دائرة المعارف, تعريب إبراهيم ذكي خورشيد, مادة حوصا, (د/ت) , ص١٤٤. , بوبكيسكينة: الحركة العلمة بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن١٩م, رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية, قسم الحضارة الإسلامية, كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية, الجزائر, ٢٠١٠م , ص٣,٢.,

للمزيد من التفاصيل انظر:

Polly Hill; Rural Hausa a Village and a setting, Cambridge, U.N.V, London, 1972, p.1. ,

الهواء في النيجر شمالاً, حتى السفح الجنوبي لهضبة جوس JOS في وسط نيجيريا جنوباً, ومن حد مملكة بورنو (Borno) القديمة وبحيرة تشاد شرقاً حتى وادي النيجر غرباً(١).

وتتميز هذه الرقعة بخصوبة أرضها وجودة مناخها. وقد جاء في كتاب إنفاق الميسور أن بلاد الهوسا تضم كل الأراضي الممتدة ما بين بحيرة تشاد ونهر النيجر وما ولاها من بلاد بوشي شمال نهر بنوي في نيجيريا الحالية(٢).

٢- **التضاريس:** أما عن جغرافية السطح فيها عبارة عن هضبة متموجة السطح يتراوح متوسط ارتفاعها بين ألف وخمسمائة إلى ألفي قدم فوق سطح البحر وهي ثرية بالسهول والتلال والأودية

Anne Haour&Benedetta Rossi; Begin and Becoming Hausa, "Interdisciplinary Perspectives"African Social Studies Series, Vol.23, Cambridge, London, 1964, p.2.,

Abdullahai Smith ; Some Considerations relating to the formation of States in Hausa Land, Journal of the Historical Society of Nigeria, Vol.5, No.3 (December 1970) p.330. ,

(١) هضبة جوسJOS من الظاهرات الطبيعية الواضحة, وهي هضبة ذات حواف متدرجة في الجنوب والغرب وتصل إلى أكثر من ١٧٠٠متر.؛ للمزيد أنظر:

محمد بلو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور, تحقيق بهيجة الشاذلي, منشورات معهد الدراسات الافريقية, الرباط, المغرب, ١٩٩٦, ص٥٦., ثريا محمود عبدالمحسن: أمارات الهوسا: دراسة في التاريخ الحضاري والثقافي, العدد٢١, مجلة العلوم الانسانية, جامعة بابل, ٢٠١٤, ص١٨٦., فتحي محمد ابوعيانة: جغرافية افريقية "دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق علي دول جنوب الصحراء", دار الجامعات المصرية, القاهرة, ١٩٨١, ص٢٤٣., حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام, القاهرة, ط١, ١٩٥٧م, ص٣٧٨., ملكه عبدالله محمود محمد: الشيخ عبدالله بنفوديو دوره في بلاد الهوسا (١١٨١-١٢٤٦هـ / ١٧٦٧-١٨٣٠م), رسالة ماجستير غير منشورة, تاريخ حديث ومعاصر, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ٢٠١٥م, ص٢١. , آدم عبدالله الإلوري: موجز تاريخ نيجيريا, دار الكتب الحياة, بيروت, ١٩٦٥م, ص٦٥., للمزيد من التفاصيل أنظر: مهدي آدامو: الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط, الفصل الحادي عشر, موسوعة تاريخ أفريقيا العام, المجلد الرابع, اليونسكو,١٩٨٨م, ص٢٧٣., محمد عبدالغني سعودي: أفريقية" شخصية القارة في شخصية الأقاليم ", مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة , ١٩٩٧م, ص٢٢٦.؛

Johnston, H.A.S.; The Fulani Empire of Sokoto, London, 1987,p,1.

(٢) بوشي: عبارة عن مرتفعات على شكل هضاب وجبال متباينة الارتفاعات, يبلغ أعلى ارتفاع فيها ١٧٨١متر, حيث تقع شمال نهر بنوي شرقاً.؛ للمزيد أنظر: محمد بلو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور, تحقيق بهيجة الشاذلي, منشورات معهدالدراسات الافريقية, الرباط, المغرب, ١٩٩٦, ص٥٦.

والرمال والأنهار والزرع والأشجار, وتدخل في سياق منطقة السافانا(Savanah) الشمالية, إذ تقع بين مملكة بورنو شرقا، وصنغي على النيجر الأوسط غرباً والصحراء الكبرى فيالشمال. أما منطقة الغابات فهي تمثل الحدالجنوبي لها، وجغرافية المنطقة في أقصى الشمال صحراوية جافة ويستدل على ذلك من إقليم كانو. أماالانحدار صوب نحو بحيرة تشاد في الشمال الشرقي فيتسم بالبطء(١). وفيما يختصبالتلال والهضاب فهي متباينة الارتفاع في الشمال والجنوب وأكثر جهات الهضبة الداخلية ارتفاعا في الجنوب الشرقي منطقة "بوشي" وتسيطر هضبة جوس على القسم الشرقي من هذه المرتفعات، وترتفع فوق سطح البحر بأكثر من الفي قدم تتخللها مرتفعات تصل إلى ستة الاف قدم وتتمتع بطقس لطيف(٢).

٣- **المناخ:**وقد ظهر تأثير جغرافية السطح في بلاد الهوسا واضحا في السنة المناخية,إذ تنقسم إلى فترتين متميزتين تماماً، وتتمثل الفترة الأولى في فصل الأمطار الذي يبدأ من مايو ويستمر حتى شهري سبتمبر وأكتوبر، ثم تأتي الفترة الثانية التي تتميز بالجفاف والتي تستمر حتى مايو من كل عام ويستمر حتى شهري سبتمبر وأكتوبر،وفيفصل الجاف يمارس السكان حرفاً أخرى مثل التجارة والصناعات المعدنية وبعض الحرف اليدوية الأخرى أو الإغارة على المناطق الاخرى(٣).

٤- **الثروة المائية:**أما فيما يخص الأنهار ومدىتأثير جغرافية السطح الأخر في تطور وتنوع الإنتاج الزراعي, حيث تكونت أراضي الهوسا من سهول فيضيه كونتها الأنهار وخاصة البطيئة الجريان وسهول سكوتو التي يصرفها نهر كيبي وروافده نحو نهر النيجر ثالث أنهار إفريقيا (بعد

---

(١) محمد لواء الدين أحمد: الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه, دار الكتب العلمية, بيروت– لبنان, ١٩٧١م, ص ص٤٧-٤٨.

(٢) ثريا محمود عبدالمحسن: أمارات الهوسا: دراسة في التاريخ الحضاري والثقافي, العدد٢١, مجلة العلوم الانسانية, جامعة بابل, ٢٠١٤, ص١٨٦., فتحي محمد ابوعيانة: جغرافية افريقية " دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق علي دول جنوب الصحراء, دار الجامعات المصرية, القاهرة, ١٩٨١, ص٢٤٣. , حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام, ط١, القاهرة, ١٩٥٧م, ص٣٧٨.

(٣) ملكه عبدالله محمود محمد: الشيخ عبدالله بنفوديو دوره في بلاد الهوسا (١١٨١-١٢٤٦هـ / ١٧٦٧-١٨٣٠م), رسالة ماجستير غير منشورة , تاريخ حديث ومعاصر, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ٢٠١٥م, ص ٢١. ؛

JohnstonH.A.S, ;The Fulani Empire of Sokoto, London, 1987,p,1.

النيل والكنغو[١] ,وذلك بالإضافة إلي سهول البورنو في أقصي الشمال الشرقي في حوض بحيرة تشاد, وسادت تربات رملية خفيفة مشتقة من الكثبان الرملية التي تنتشر في الشمال والتي أدت إلي استيطان جماعة الهوسا بشكل مبكر, وهذه المنطقة صلحت لزراعة الفول السوداني. أما في الجنوب في مقاطعة زاريا كانت التربة من النوع الأثقل مما أدي إلي زراعة القطن كمحصول نقدي[٢].

وقد تركزت الزراعة بشكل عام على جانبي نهر النيجر وفروعه, أما المناطق البعيدة عن الأنهار فإنها تعتمد على الينابيع والآبار ومياه الأمطار. وهي الحرفة الرئيسية لإعاشة الغالبية العظمى, لقبائل الهوسا بسبب خصوبة التربة ووفرة المياه. وأهم المحاصيل الموجودة الحبوب من الذرة , وأرز, والدخن, والفول السوداني, والفستق, والقطن, والتمر, والبطاطا, والبصل, والثوم, والفلفل, والفواكه, والخضر[٣].هذا بينمايزرعون في القرى الذرة الرفيعة المبكر منها والتأخر, فضلا عن قصب السكر والبطاطا, والخضراوات,وظلت زراعتهم تمدهم بالغذاء فضلاً عن نشاطهم التجاري مما مكن حكامها من تكوين الجيوش, ومهر الهوسا في الزراعة بحيث يقيمون بالري من الترع والآبار مستخدمين الشواديف و قرب المياه, وهذه تستخدم عادة للحاصلات الأكثر أهمية كالبصل والأرز, كما عرفوا التسميد للأراضي الزراعية وخاصة حول المدن مثلما يحدث من استخدام الروث والبراز الذي يجمع من المدينة, كما نمت لديهم الصناعات المعدنية و بعض الحروف

---

(١) ترتبط رحلات كابتن كلابرتون والرحالة أودنى بالجهود التي بذلت للكشف عن نهر النيجر ومعرفة اتجاه مجراه, والنيجر ثالث أنهار أفريقيا بعد النيل والكونغو, وهو يمتد في غرب القارة الأفريقية على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي ثم يتجه النهر من جديد تجاه الجنوب الشرقي حتى ينتهى عند المصب بدلتا كثيرة الفروع, ويتصل به على مسافة غير قصيرة من المصب نهر بنوى(Benue).
للمزيد من التفاصيل أنظر: Major Denham F.R.S.,CaptanClapperton And the lateDoctor Oudney; Narrative of Travels and Discoveries in Northern and Central Africa in the years 1822,1823, and 1824,Vol.1, Printer by, ThomasDavidson, white friars, London, (N.D), P.5.

(٢) فتحي محمد ابوعيانة: مرجع سابق, ص٢٤٤.

(٣) الهادي المبروك الدالي: قبائل الهوسا " دراسة وثائقية ", ط٣,دار الكتب الوطنية, بنغازي– ليبيا, ٢٠٠٩م, ص٢٣٩. ؛ القلقشندي: صبحى الأعشى, المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر, (د.ت), القاهرة, ص٢٨٨.

اليدوية الأخرى, كدبغ الجلود وصناعة النسيج و الصناعات الجلدية من جلد الماعز ذات الشعر الأحمر[١].

وأنه نتيجة لموقع الاستراتيجي لبلاد الهوسا ـ في المناطق الشمالية لنيجيريا – أدى إلى جذب واستيطان مجموعات سكانية مختلفة, كان عامل التوحيد الرئيسي هو لغة الشعب وثقافته للسكان المحليين, والتي مكنته من امتصاص القادمين الجدد [٢].

٥- عناصر السكان:

تعرضت بلاد الهوسا لهجرات شعوب ومجموعات من مختلف الآفاق بأعداد هائلة في أزمنة مختلفة ولأغراض شتى, والمناطق التي توافدت منها الأغلبية العظمى من هؤلاء النازحين هي: الصحراء الكبربوالساحل شمالاً, وبرنو شرقاً, ومناطق امبراطوريتي مالي وصونغي غرباً, وقد أدت إلى امتزاج واختلاط بين أجناس وأعراق مختلفة ذات أصول عربية وبربرية صحراوية وأيضاً زنجية أفريقية, مهدلظهور جماعات الهوسا حيث يشكلون أكبر التجمعات العرقية النيجيرية, فهو تعريف لغوي أكثر منه عرقياً [٣]. وكانوا يعيشون في السابق- قبل دخولهم نيجيريا – في الأقاليم الوسطي لجنوب الصحراء شرق نهر النيجر. وكانت لهم من الخبرة في معرفة مسالك الطرق والواحات عبر الصحراء وقد أخرجتهم قبائل الطوارق من مواطنهم، فاتجهوا نحو الجنوب[٤].وعلى

---

(١) محمد عبد الغني سعودي: مرجع سابق, ص٢٢٨.

(٢) عبدالله عبدالرازق إبراهيم: الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا, مكتبة الأنجلو المصرية, ١٩٨٤, ص٣. , كمادهوبانيكار: الوثنية والإسلام, تاريخ الامبراطوريات الزنجية في غرب إفريقية, ترجمة أحمد فؤاد بلبع, جـ١, ط٢, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, ١٩٩٨, ص١٩٧. , للمزيد أنظر: عبدالله, داود أبوبكر: تأثير الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع النيجيري المعاصر في النصف الثاني من القرن العشرين: منطقة هوسا ويوربا أنموذجا, رسالة ماجستير, المعهد الأعلى لأصول الدين, جامعة الزيتونة, تونس, ٢٠٠٢م, ص٧.

(٣) بوبكيسكينة: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن١٩م, رسالة ماجستير, قسم الحضارة الإسلامية, كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية, الجزائر, ٢٠٠٩م/٢٠١٠ م, ص٢., إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية, القاهرة, ١٩٧٥م, ص٧٥.،عبد الله عبد الرازق إبراهيم : دور قبائل الفولاني في نشر الإسلام وحضارته في الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر الميلادي, ندوة الصحراء مدينة دوز, جامعة تونس المنار, تونس, ٢٠٠٣م, ص٢., حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية,ط٤, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ٢٠٠٠م, ص١١٦.

(٤)عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء, مرحلة انتشار الإسلام, منشورات جامعة قاريونس بنغازي, ط١, دار الكتب الوطنية, بنغازي-ليبيا, ١٩٨٨, ص١٢٣.

مر القرون, اعتمدت الشعوب المجاورة من مختلف الخلفيات العرقية مثل: بعض من الفولانيFulani, وكانوريKanuri, ونيب Nupe, هوية الهوسا ببساطة بفضل الاستيعاب اللغوي [١], رغم أن جمعتهم لغة واحدة، ويقطنون أرضاً واحدة, وهم لا يشكلون عرقاً خاصاً بقدر ما يشكلون جماعة تتكلم نفس اللغة. ويكاد يتفق الأغلبية من المؤرخون والرحالة العرب على أن الهوسا ينتمون أصلاً إلى الجنس الزنجي, رغم أنهم يتكلمون لغة حامية وليس من الصواب أن نعدهم شعبا واحداً فهم يمثلون خليطا من شعوب تنتمي إلى أصول مختلفة وان جمعتهم لغة واحدة أو اجتمعوا في صعيد واحد[٢].**وهنا نتساءل، وما هو أصل شعب الهوسا ؟.**

أ-أصل الهوسا : اختلفت الآراء حول الجذور الأولى لنشأة جماعات الهوسا, وغالبا ما كانت تتضارب وتتناقض فيما بينها وكان لكل رأى حجته وبرهانه.

النظرية الأولى: تناولت النظرية الأولى أصل الهوسا أنهم عرب من بغداد في العراق , وتأسست هذه النظرية على تأويل خاطئ لأسطورة بياجيداBagauda " أبى يزيد " Bayajidaia هو اسم جد ملوك الهوسا "[٣], والأسطورة تدل على تأثير سلطنة برنو في المؤسسات السياسية لهوسا .

MICHL leuis : arts and peupeles de L'afrique noire , introduction à uneanalyse des creation plasthque , Bibiotheque de sciences Humaines mf, Le MAI 1967, Paris, p.153.

(١) OussinaAlidou: Geender, Narrative Space, and Modern Hausa literature, Research in African Literatures, Vol.33, No.2, Indiana University, U.S.A, 2002, p.137.

(٢) لغة الهوسا يتكلم بها سكان شرق النيجر, وشمال نيجيريا , وتتفرع هذه اللغة إلى لغات محلية حول بحيرة تشاد أهم االكانوري.,نعيم قداح: أفريقيا في ظل الإسلام, مراجعة عمر الحكيم, دراسات أفريقية, سلسلة الثقافة الشعبية(٦), وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دمشق,١٩٦٠م, صص٢٢-٢٤.,

عبدالله عبدالرازق إبراهيم: مرجع سابق, ص٣.

(٣) تقول أسطورة لأسطورة "بياجّدا (أودورة) Bagauda ", بايزيدا Bayazida يعتقد أنه من أصل عربي نفي من بغداد وشق طريقه إلى بلاد الهوسا عن طريق برنو, وهو جد ملوك الهوسا., مهدي آدامو: مرجع سابق, ص٢٧٤.؛ للمزيد أنظر: حسين سيد عبدالله مراد: مرجع سابق, ص٧., محمد فاضل علي باري, سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا" تاريخ وحضارة",دار الكتب العلمية, بيروت, ١٩٧١م, ص١٤٦. ؛

.Johnston, H.A.S, Op. cit., p.5-6

وهذه النظرية ليس لها سند من واقع ولا دليل يثبت صحتها[١], وتلك النظرية كتبت في القرن التاسع الميلادي معتمدة على الأسطورة لم تكن نواة لأي حقيقة تاريخية[٢].

أما النظرية الثانية: فتوضح أن جغرافية شعب الهوسا كانت في الأصل جنوب الصحراء الكبرى قبل أن تكتمل ملامحها الجغرافية وبعد أن أصيبت المنطقة بالجفاف كانت الهجرة البشرية لجماعة الهوسا شطر الجنوب[٣], واختلفت الآراء في تعامل الهوسا مع سكان المنطقة المحليين المستوطنين في الشمال, فهناك من يرى أنهم دحروا الشعوب المحلية على هضبة بوشي وهناك رأى آخر يؤكد أن المنطقة كانت قليلة السكان وصالحة للاستيطان بدرجة تغنيهم عن طرد السكان المحليين منها. وهذا يفسر تنوع الأعراق في الجزء الشمالي من الهضبة, وإذا كانت اشكالية انتساب الهوسا إلى الصحراء نظرية محتملة إلا أنها ليس لها سند يثبتها لذلك فهي تبقى طيي الفروض[٤].

والنظرية الثالثة: قد أكدت أن جذور الهوسا ما هم إلا سكان الشطر الغربي لبحيرة تشاد , وتعتمد حياتهم المعيشية على صيد الاسماك وزراعة المواد الغذائية , وبعد إن تقلصت بحيرة تشاد بفعل العوامل الجغرافية , تمسك جدود الهوسا بالبقاء في المكان واعتمدوا على الزراعة والتي كانت أساس استقرارهم والمرتكز الرئيسي لقيام ممالك دورا, وكانو, وكاتسينا, وزارايا, ورانو, وبيرام وجدهم الأكبر يعرف باسم "باو" الذي هو مملوك لسلطان بورنو[٥].

ومما تقدم فأن النظرية الثالثة تبدو معارضة للنظرية الأولى والثانية .

أخيرا النظرية الرابعة: يقترح مهدي آدامو لتوضيح أصل الهوسا, أن بعض الروايات المتواترة محلياً تؤكد أن أجداد الهوسا, قد خرجوا من ثقوب الأرض, وهذا يؤكد أن شعب الهوسا ليسوا دخلاء على المكان , وانما من نبت الأرض وهذا يفسر أصلهم المحلي أما الهجرات التي وفدت إلى المنطقة من الشمال والشرق والغرب , ساعدت على الاستفادة والإفادة من المورثات المختلفة المنبثقة من البيئة[٦].

---

(١) مهدي آدامو: مرجع سابق, ص٢٧٤.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

(٣) نفسه والصفحة؛ حسين مراد: مرجع سابق, ص٨.

(٤) مهدي آدامو: نفسه والصفحة.

(٥) نفسه والصفحة.

(٦) مرجع نفسه والصفحة.؛ حسين مراد: مرجع سابق, ما يخص الرأي في بحثه , ص١٠.

ومما تقدم يتبين:

١- إن تمدد وانتشار واستيطان أبناء قبائل الهوسا قد امتد في مساحة جغرافية شاسعة يعتبرون المجموعة العرقية الكبرى في الأقاليم الشمالية لنيجيريا , واستوطنوا حول سكوتو SOKOTO, وكانو, وزاريا. واصطلح الأغلبية من المؤرخون والجغرافيون والمستشرقين على نعتها بإقليم الزنوج , وأهم ما ميز هذه القبائل لغة الهوسا التي اجتمعوا تحت مظلتها, وسارت حال لسانهم ومعاملتهم التجارية.وقاموا بتأسيس سبع أمارات أصلية هوسا بكوي (Hausa Bakwai) وهي: كانوKano, رانوRano, زاريا Zaria, دورا Daura, جوبيرGobir, كاتسينياKatsina, بيرامBiram. وبجانب هذه الأمارات الأصلية هناك سبع أمارت غير أصلية يطلق عليها اسم بنزا بوكوي(BanzaBakwai) وتشمل: كيبي, زمفرا, نيب, جوراي, يوري, يوربا, كوارارفا(١).

٢- يستخدم مصطلح الهوسا للإشارة بشكل عام إلى جماعة عرقية من المسلمين في الغالب ويتكلمون الهوسا كلغة أصلية. وعلى مر القرون, اعتمدت الشعوب المجاورة من مختلف الخلفيات العرقية مثل: بعض من الفولانيFulani, وكانوريKanuri, ونيب Nupe, هوية الهوسا ببساطة بفضل الاستيعاب اللغوي (٢).

٣-الهوسا نتيجة امتزاج واختلاط ظل يحدث خلال عدة قرون بينهم وبين جماعات قبلية وجنسية كثيرة, أدت في النهاية إلى شكل دولة، إذ ليسوا قبيلة بالمعنى من هذه الكلمة فهو شعب لا ينحدر من دم واحد كالقبيلة, وأن جمعتهم لغة واحدة، ويقطنون أرضاً واحدة, وهم لا يشكلون عرقاً خاصاً بقدر ما يشكلون جماعة تتكلم نفس اللغة. أي لم تكن تمثل دولة بمضمونها الشامل, من

---

(١) نعيم قداح:أفريقيا في ظل الإسلام, مراجعة عمر الحكيم, دراسات أفريقية, سلسلة الثقافة الشعبية(٦), وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دمشق,١٩٦٠م, ص ص٨٠-٨١ . ؛

Plamer, H.R: The Bourn Sahara and Sudan, London,p.274,M.G. Smith; Kebbi and Hausa Stratification,The British Journal of Sociology, Vol.12, No1(Mar., 1961), The London School of Economies and Political, London, 2017, p.56, ;
SirAlan Burns; History of Nigeria, London, 1978, p.46.

أنظر: خريطة رقم (١) إمارات الهوسا في عام ١٧٨٠م, ص٣٦.

المصدر: الطيب عبدالرحيم محمد الفلاتي: الفلاتة في أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية التنموية في السودان, ط١, دار الكتاب الحديث, الكويت, ١٩٩٤م, ص٣١٧.

(٢) OussinaAlidou: Geender, Narrative Space, and Modern Hausa literature, Research in African Literatures, Vol.33, No.2, Indiana University, U.S.A, 2002, p.137.

حيث القوة لوضع حد للحروب الصغيرة المتكررة بين إمارتهم الصغيرة أو تجعلهم قادرين على الوقوف أمام غزوات جيرانهم. إذ أدى الصراع بين الامارات الهوساوية إلى التفرقة وعدم الاستقرار, وعدم التركيز على النواحي الثقافية أو الدينية. وصار الدين الإسلامي غريبا بين السكان, واختلطت العادات والمورثات الوثنية بالتقاليد الإسلامية, وصار الحكام يحملون لقب المسلمين شكلا دون فهم واع لأصول هذا الدين. مما أدى إلى ظهور أحد أبناء الفولاني المسلمين, وأعلن الجهاد الإسلامي في سبيل الله ونشر الدعوة واصلاح العقيدة الإسلامية وتنقيتها من شوائب وطقوس وثنية, والتطلع إلى إقامة دول وحكومات إسلامية تحكم بموجبالشريعة الإسلامية(١). وصار الجهاد الفولاني هو العمل الكبير الذي قام به الداعية والمجاهد عثمان بن فودي. والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو أصل هذا الشعب ؟ ومن أين جاء؟.

ب– الفولاني:في القرن الثامن عشر لمع نجم قبائل الفولاني المسلمة والتي كانت منتشرة في شتى أقاليم السودان الغربي, بين الساحل المحيط الأطلسي وبحيرة تشاد حتى الكامرون، وأنهم شقوا طريقهم تدريجياً شرقاً إلى بلاد الهوسا في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي, حيث تعرضت بلاد الهوسا إلى موجات هجرات متتالية من الرعاة الذين يطلق عليهم الفنولا في الوقت الذي يسميهم شعب الهوسا اسم الفولاني, ويسميهم العرب اسم الفلاته(٢).

وكان بعض هؤلاء المهاجرين ينزحون إلى المدن ويختلطون بسكانها من الهوسا ويتزوجون منهم. وقد اختلف المؤرخون حول أصل الفلانين فالبعض منهم يرجعه إلى الأصل العربي, أو إلى الفرس الذين نزحوا من آسيا, وهناك من يرجعه إلى أصول أثيوبية, والبعض يقول أنهم نتيجة اختلاط الزنوج بالعرب والبربر(٣).

---

(١) عبدالله عبدالرازق إبراهيم: الإسلام والغزو الأوربي لأفريقيا, ط١, مطبعة العمرانية للأوفست, الجيزة, مصر, ٢٠١٠م, ص٣٩.

(٢) عبدالله عبدالرازق إبراهيم: دور قبائل الفولاني في نشر الإسلام وحضارته في الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر الميلادي, مرجع سابق, ص٧.

(٣) محمد مولاي: القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع هجري حتى الثاني عشر هجري (١٥م–١٨م) رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية, قسم الحضارة الإسلامية, جامعة وهران١ أحمد بنبلة, الجزائر, ٢٠١٨م, ص٢٢., محمد فاضل علي باري, سعيد إبراهيم كريرية: مرجع سابق, ص٢٤. ؛ Segliman, Charles: Races of Africa, p.96.

ومهما اختلفت التفسيرات, وتعددت الآراء حول أصل هذا الشعب, فإن هناك شبة إجماع على أنه من أصل حامي, وأنه جاء إلى بلاد الهوسا من ناحية الغرب في القرن الثالث عشر الميلادي, بالرغم من تعدد الآراء فإن الفولاني يرون أن أصلهم من سلالة عقبة بن نافع(١). حيث تم وصفهم بأنهم جماعة ذات بشرة سمراء ويشبهون العرب ولسانهم عربي يتحدث العربية ويكلمونها في مدارسهم والقرآن شريعتهم مكتوب بهذه اللغة وأسمائهم على وجه العموم أكثر بالعربية, ويعيشون قبائل أو عشائر وحافظوا هؤلاء الرعاة علي ثقافتهم ولغتهم ونقائهم الجنسي, ويبنون لأنفسهم مدناً ولا يخضعون لأي ملك من ملوك البلاد التي يقيمون فيها مع أنهم يعيشوا في أراضي هذه الملوك, وكانت هذه الجماعات المنفصلة المتناثرة في شتى أقاليم الهوسا, خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادين, تحولت إلى جماعة قوية استطاعت البقاء والاستمرار على أرض الهوسا, وتزوجوا مع السكان المقيمين بها, وحاولت هذه الجماعات نشر الإسلام الصحيح بين سكان يدينون بالإسلام ظاهريا, ولما تصدي أحد حكامهم لأبناء الفولاني, فاندلعت ثورة عارمة هبت في وجه هذا الحاكم قام بها أنصار الشيخ عثمان فودي, وهو الزعيم الإسلامي الذي قاد حركة جهاد كبرى في أمارات الهوسا(٢).

ج-البربر: شكل البربر كيانات قبلية بربرية حضرية وأخرى بدوية غير متحدة, إذ كان من مخلفات السيادة الرومانية في شمالي إفريقية بعد زوالها, أعطت للبلدان المغربية صفة الحضرية أكثر من الصفة البدوية, اجتذبت اليها الكثير من البربر, خاصة أولئك الذين كانوا يعملون في المزارع الرومانية(٣). فضلا عن الظروف الجغرافية ودورها الانعزالي, إذ كانت طبيعة البلاد الصحراوية ليست من اليسر لتحقيق مثل هذه الوحدة بين عنصري البربر, لاسيما بعد أن بدأت

---

(١) عبدالله عبدالرازق إبراهيم : مرجع سابق, ص١١. , محمد فاضل علي باري, سعيد إبراهيم كريرية: مرجع سابق, ص٢٤.

(٢) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام, ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون, ط٣, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ١٩٧٠م, ص ص٣٦١-٣٦٤., عبد الله عبد الرازق إبراهيم: مرجع سابق, ص١٢.,
حسن ابراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة في مايلى الصحراء الكبرى شرقي القارة الأفريقية وغربها, محاضرات القاها في معهد الدراسات العربية العالية, ١٩٥٧م, ص٧٤. ؛
.Dubois, F.: Tomboctu, La Mystrieuse, Paris 1899, P. 153

(٣)مهدي رزق عبد الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية, ط١, مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية, الرياض, ١٩٩٨م, ص٤٤. ؛ يسري عبد الفتاح الجوهري: شمال إفريقية- دراسة في الجغرافية التاريخية, (د/ت), ص ص١٥٨-١٥٩.

عناصر البدو الرعاة في التوسع والانتشار على حساب المدنيات الزراعية المستقرة, وكانوا يعتمدون في معيشتهم على الغارات المتصلة على القوافل التجارية, وسفك الدماء ونهب الأموال والحرابة , ومنهم الطوارق أو الملثمين, أي الذين يضعون اللثام على وجهوهم, أو الصنهاجيين, نسبة إلى قبائل صنهاجة, الذين انتشروا أيام فتح إفريقية في الصحراء الكبرى. وقد بدأ الإسلام ينتشر في هذا الإقليم الصحراوي كثيراً, وظهرت في أهله البركة والخير كثيراً(١). حيث اعتنقت الأغلبية منهم الإسلام, بسبب الاتصال بالإسلام عن طريق المحاربين العرب الذين غزوا بلادهم, أو عن طريق التجار المسلمين الذين راحت قوافلهم تجتاز الصحراء الغربية بعد الفتح العربي للمغرب مباشرة. ولا شك أن هذه الاتصالات أدت إلى إسلام بعض البربر الذين كانوا يعملون كمرشدين ومرافقين يحرسون القوافل, وكان تأثير الثقافة الإسلامية على السكان المحليين أكثر عمقاً وقوة في المراكز التجارية والسياسية القليلة الموجودة في المناطق التي استقر فيها التجار بصفة دائمة, ويؤثرون فيهم بنظافتهم وأمانتهم وسلوكهم الشخصي القائم على قيم الإسلام(٢), وبذلك كسب الإسلام من بينهم مناصرين جدد أشداء, أدوا دوراً هاما في قيامهم بنشر الإسلام في مناطق أفريقيا الواقعة جنوب الصحراء الكبرى؛ حيث كانت قوافل التجار ومنهم البربر التي كانت تزرع الصحراء إلى مناطق الساحل والسودان الأكثر خصوبة لم تكن محملة بالسلع فحسب, وإنما كانت تحمل أيضا الأفكار الدينية والثقافية الإسلامية التي تشربونها, والتي لقيت صدى وقبولاً في نفوس التجار بادئ الأمر, وفي بلاطات الأفارقة فيما بعد والذين كانوا لا يكفون عن

---

(١) أما عن البربر يقول محمد بلو؛ هؤلاء البربر من بقايا البرابرة الذين بين الزنج والحبوش, وهم الذين طردهم حمير من اليمن, عندما استغاث به أهل الشام حين أكثر البربر الفساد فيها واستنصروا عليهم, فغزاهم فشتت جموعهم. وطردهم, واستوطنوا قريبا من أرض الحبشة, ثم وافدوا كانم, واستوطنوها ووجدوا في هذا البلد عجما تحت حكم إخوانهم التوارك– الطوارق– وغلبوهم على البلد وأقبلت دولتهم أيام استيطانهم البلد, حتى ملكوا أقاصي البلاد من هذا القطر, وكانت وداي وباغرم قبل هذا تحت سلطانهم, وكذلك بلاد الحوس, ثم ضعفت شوكتهم., محمد بلو: المرجع السابق, ص٦٣,٦٤.؛ للمزيد انظر: جان 'دفيس: التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا, الفصل الرابع عشر, تاريخ إفريقيا العام, مجلد٣, اليونسكو, ١٩٩٧, ص ص٤٠٣–٤٠٧. ,

آدم عبد الله الإلوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفولاني, مكتبة وهبة, نيجيريا, ٢٠١٢م, ص ص٣٤–٣٣.

(٢) إيفان هربك: أفريقيا في إطار تاريخ العالم, الفصل الأول, تاريخ أفريقيا العام, مرجع سابق, ص٩٨. , وكذلك أنظر:رجب عبدالحليم, وآخرون: لمحات من تاريخ القارة الأفريقية (الموسوعة الأفريقية, المجلد الثاني, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة ١٩٩٧م ,ص٨٠.

المضي صوب الجنوب كلما أتيحت لهم الفرص، حيث شكلوا هناك عنصر أخر من عناصر سكان الهوسا, وقد عاش الفريقان جنبا لجنب فترة طويلة ثم اندمجا ومن هذا الاندماج نشأت شعوب الهوسا[١].وبذلك كان لهم دوراً هاماً في نشر الإسلام وحضارته في بلاد الهوسا.

د–الكانوري: كان هناك العنصرالكانوري، مما يدل على تواجد التأثيرات القادمة من الكانموالبرنو على الهوسا والدليل على تواجد التأثير الكانوري انه قد كانت هنالك كلمات عربية كثيرة مرتبطة بالدين ادخلت الى الهوسا بواسطة الكانوري، ويدل هذا على أن الاسلام قد دخل إلى بلاد الهوسا قبل دخوله من الغرب أي عن طريق الونقارة وأنه قد دخل إلى المنطقة عن طريق الكانوري في القرن الحادي عشر[٢].

(١) إ, هربك: مرجع سابق, ص٩٠–٩٥. ,أحمدشلبي: موسوعةالتاريخالإسلامي,الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن،ط٥، مكتبة النهضة المصرية, القاهرة,١٩٩٠,ص١٩٨.

(٢) ثريامحمودعبدالمحسن:مرجع سابق, ص١٩٠.

المبحث الثاني:
العوامل المؤثرة في الصلات الثقافية بين بلاد الهوسا وكل من مصر والبورنو

كانت التحركات والتنقلات السكانية التي قامت بها جماعات الهوسا في مساحة جغرافية: تمتد من جبل الهواء في النيجر شمالا إلى منطقة هضبة جوس بلاتو وسط نيجيريا جنوبا, ومن حد مملكة بورنو وبحيرة تشاد شرقا حتى وادي النيجر غربا. قد أدت إلى تشرب السكان الأصلين للإسلام وأصبحت المنطقة بها ازدواجية ثقافية, وكانت الثقافة الإسلامية بطابعها المعروف من البساطة والليين والثقافات المحلية تلتقيان وتعيش كلا منفصل عن الأخرى. وهناك عدة بواعث ساهمت في ترسيخ الصلات الثقافية الإسلامية في المناطق التي سيطرت عليها قبائل الهوسا. شملت الطرق, وانتشار الإسلام, والتجار, والدعاةوالعلماء والأئمة, والهجرات, وأهل الصوفية [١].

١- **الطرق:**بلاد الشمال الأفريقي تتصل اتصالاً طبيعياً بغرب أفريقيا عبر طرق ومسالك وواحات الصحراء الكبرى, والطبيعة حددت وسيلة هذا الاتصال وطريقته, فإقليم فزان بطرابلس يبعد عن بلاد بورنو أكثر من مسيرة أربعين يوماً. وفي الغرب ينحني النيجر انحناءة عظيمة صوب الشمال ليقرب من شقة الصحراء, هذه الصحراء التي لا تتصل بساحل المحيط الأطلسي اتصالاً مباشراً, ولكنها تترك سهلاً ساحلياً يجعل الاتصال عبره ممكناً بين الجنوب والشمال. عبر هذه الطرق, اتصل العرب والقبائل الصحراوية المختلفة بالسهل الخصيب, الواقع جنوب الصحراء الكبرى اتصالاً قديما متصلا, وكانت التجارات لا تفتأ تتبادل بين الإقليمين هذه التجارة التي كان لها شأن كبير في غرب أفريقيا, وكانت الأوطان الزنجية في حاجة ملحة ومستمرة إلى ملح الطعام وكان من بين متعطشي تجارة الملح قبائل الهوسا التي استفادت من أهمية الطرق التجارية[٢]. وكانت الطرق التجارية الممتدة بين الشمال الأفريقي وغربها, والتي سهلت توافد الدعاة والتجار العرب والبربر المسلمون على المنطقة من مصر, وغدامس, وفاس, وتوات, وغيرها, حيث شهدت المنطقة رواجاً تجارياً وثقافياً بسبب النشاط التجاري الكبير, وأصبحت مدن الشمال الأفريقي مراكز للتجارة بجانب كونها مراكز للعلم والثقافة. وكانت الصحراء الكبرى عقبة في التواصل التجاري حتى دخول واستعمال الجمل من آسيا إلى شمال إفريقية, ذلك أن الجمل كان الحيوان الوحيد الذي يمكن الناس من القيام برحلات تراوح طولها بين ألف وألفي كليو متر,

---

(١) أحمدشلبي: مرجع سابق, ص١٦٩., حسن أحمد محمود: مرجع سابق, ص١٩٠.

(٢) حسناحمدمحمود: مرجع سابق, والصفحة.

أي المسافة الفاصلة بين حافتي الصحراء, فضلا عن احتياجات نجاح تجارة عبر الصحراء لمسافات بعيدة, عدد دواب الحمل التي تتألف منها ضخامة حمولاتها التي تقايض بالسلعة الرئيسة التي كان سعى اليها التجار في جنوب الصحراء, إلا وهي الذهب. ومن ثم اتجه تجار العرب والبربر بقوافل الجمال التي تحمل تجارتهم واخترقوا الصحراء الكبرى ووصلوا الى بلدان جنوب الصحراء, وكان هؤلاء التجار سواء كانوا من العرب أم من البربر أم من السودان والزنج ينزلون الأسواق أو المراكز التجارية ثم يحتكون بالزنوج المحليين ويؤثرون فيهم بنظافتهم وأمانتهم وسلوكهم الشخصي القائم على قيم الاسلام مما حبب فيهم الأهالي, فوثقوا فيهم مما فتح الباب أمام بضائعهم التجارية والمعاملات التجارية بينهم(١). إذ لا يخفى أن الأخذ والعطاء غالباً ما يؤدي إلى تبادل الأفكار ونمو الثقافات وانتقال الحضارات, ولولا الطرق التجارية التي كانت تربط بلاد الهوسا عبر الصحراء ببلاد البحر الأبيض المتوسط أو وادي النيل, لما ازدهرت في وقت من الأوقات تلك الحضارة الإسلامية التي عرفتها دول غربي أفريقيا(٢) .

وبذلك ساهمت الطرق بشكل كبير في تدفق العديد من الموجات المتتالية من الهجرات العربية والأفريقية المختلفة الوافدة من المشرق العربيوالشمال الإفريقيعبر الصحراء الكبرى إلى ما وراء دول الصحراء الكبرى جنوباً. وكانت طرق القوافل التجارية مسلكاً رئيساً للتواصل سلكه وأرتاده التجار ورحلات الحجاج عبر الصحراء الكبرى مرورا بمصر؛ فضلاً عنساهمت بشكل كبيرفي مد جسور الصلات التجارية والثقافية لبلاد الهوساالخارجية مع المشرق العربي الإسلاميمما جعلها أرضا خصباً قابلة للحياة والاستيطان والتأثير والتأثر.وكانت التجارة والتجار ضلع فاعل ومؤثر فيها.

٢- **التجارة والتجار**: كانت التجارة الركيزة الأولى للصلات العربية الأفريقية قبل ظهور الإسلام, حيث أن معرفة العرب بالشمال الأفريقي إلى ما قبل الإسلام, كانت تتلخص فيما كان يمكنهم الحصول عليه من معلومات عن طريق ارتدادهم القوافل التجارة عبر الصحراء الكبرى وما إليها, حيث كانت الصحراء, ومازالت, أداة وصل فعالة, وحدت بين شمال القارة وجنوبها, فهي عند

---

(١) جان دفيس: مرجع سابق, ص٤٠٧. , للمزيد أنظر, رولاند اوليفر وجون فيج: موجز تاريخ إفريقية, (ترجمة دولت صادق), ص٦٥., شوقيالجمل: دور العرب الحضاري في أفريقيا, رؤوف عباس حامد(المحرر) ضمن: العرب في أفريقيا: العرب في أفريقيا (الجذور التاريخية والواقع المعاصر),دار الثقافة العربية, القاهرة, ١٩٨٧م, ص١٥٠.؛ للمزيد أنظر: توماس أرنولد: مرجع سابق, ص ص٣٧١-٣٨١.

(٢) مهدي رزق عبد الله أحمد:مرجع سابق, ص٦٥.

أبنائها دروب واضحة المسالك, ينسابون عليها بقوافلهم المحملة بالخير والعطاء, والمتنقلة بين مصروطرابلس وغدامس ومرزوقوكانم– بورنو والنيجر وغيرها(١). أما الاتصالات المباشرة للعرب مع دول شمال وغربي أفريقيا فقد بدأت منذ الأيام الأولى لقيام الدولة الإسلامية. منذ أن فتح المسلمون مصر البيزنطية في سنة ٢٠هـ /٦٤٠م, ثم امتد نفوذ العرب المسلمين بعد ذلك لبقية أفريقيا الشمالية على فترات متلاحقة, ولم يكد القرن الهجري الأول يشرف على نهايته إلا وكان العرب المسلمون قد أتموا فتح الشمال الأفريقي بكماله. واتجه الجيش الإسلامي الفاتح عابرا الصحراء مدعما بالعناصر البربرية في الأراضي القاحلة ليمدوا النفوذ الإسلامي إلى جنوب الصحراء (٢). وقد شهدت هذه الصحراء قبل الإسلام نشاطاً وصلات تجارية بين التجار العرب وأفريقيا؛ ساعدت في نشر الإسلام وثقافته, بل شكلت العامل الأساسي في انتشاره وحضارته, وقد أخذت مضموناً ثقافياً جديداً, بعد ظهور الإسلام . فمن المعروف أن القبائل الشمالية في إفريقيا الغربية تقبلت الإسلام أولا من الشمال الإفريقي، لتنقله بدورها إلى أخواتها من المجموعات القبلية التي تقطن في المناطق الجنوبية بغربي إفريقية(٣).ولقد كان دور التجار الهوسا في هذه المنطقة مثل دور تجار الونقارا الذين كان لهم الفضل الكبير في نشر الإسلام في إمارات الهوسا؛ وبذلك لعبوا دوراً هاماً في توطيد الصلات التجارية التي أدت إلى نشر الإسلام في المجتمع الهوساوي(٤).كذلك كان يوجد صلات تجارية لبلاد الهوسا مع البربر، وخاصة تجارهم، الفضل الأكبر والقدح المعلى في مجال الدعوة الإسلامية والتعليم الديني بين القبائل الزنجية التي تقطن الصحراء وفيما وراء الصحراء، فالفضل يرجع إلى مراكز تجارتهم الموجودة في السهول التي تلي الصحراء، والتي تتسم بالطابع الإسلامي, وتصبح مركزاً للدعوة الإسلامية, فتجذب إليها العناصر

(١) جعفر عبد السلام: التعليم العربي الإسلامي في إفريقيا, سلسلةالدراساتالإفريقية, ط١, الكلمةللنشروالتوزيع, المنصورة, مصر, ٢٠١٥م , ص٨٥.

(٢) أيمن فؤاد: صفة أفريقيا في المصادر العربية حتى نهاية القرن العاشر الهجري, رؤوف عباس حامد(المحرر) ضمن: العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر, مرجع سابق, ص٢٨,
جعفر عبد السلام: مرجع سابق, ص٨٦.

(٣) عبد الرحمن ذكي: الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا, مطبعة يوسف, (د.ت), ص٦ .

(٤) منى محمد عادل: مرجع سابق, ص٤٠. ؛ فج. جي. دي: تاريخ غرب أفريقيا, ترجمة: السيد يوسف نصر, دار المعارف, القاهرة, ١٩٨٤م, ص٧٧.؛
The Kano Chronicle, p.105.

المسلمة النشطة لتقوم بدور بارز في خدمة الإسلام وتربيته بالمنطقة [١].وترتب على ذلك أن تغيرت هذه المظاهر الثقافية الوثنية المتوارثة, متمثلاً في الطباع والسلوكيات, بدخول التجار المسلمين ودورهم الجليل في انتشار الدين الإسلامي وحضارته في تللك البقاع, والتزامها بتعاليمه ومبادئه, فكانوا بشكل أو بآخر, دعاة لهذا الدين[٢] .

بالرغم من أن القليل منهم كان لا يجيد الفقه والفكر الإسلامي لعدم استطاعته التفرغ لها فان معظمهم قام باستقدام الفقهاء والعلماء لهذه المناطق, ليتولى تعليم الناس أمور دينهم وشرح حضارته لهم. وعمد بعض التجار إلى تشيد المدارس والمساجد وكثيرا ما كانوا يرسلون الطلاب من السكان الأصليين إلى المعاهد الإسلامية في مصر أو الشمال الإفريقي ليتولوا مزيدا من العلم وليعودوا قادة للفكر الإسلامي في بلادهم, وعندما كثر إقبال الإفريقيين على السفر للتعلم في المعاهد العلمية الشهيرة عمد كثير من التجار ببناء بيوت لهم يعيشون بها طيلة التحاقهم بهذه المعاهد, كما قدم ما احتاجه الطلاب من نفقات ومصروفات حيث كان تعلمهم عن طريق اتصالهم بالحضارة الإسلامية التي وفدت إليهم، بوساطة الاحتكاك التجاري في المقام الأول، أشياء كثيرة لم تكن لديهم من قبل، وكان للعرب في هذا دور مركزي، لأنهم عرفوا التجارة مع إفريقية عامة منذ أمد بعيد، حتى قيل إن كل عربي تاجر. ولما جاء الإسلام وأصبح التاجر مسلما، زاد النشاط التجاري بين شمالي الصحراء وجنوبيها، كما زاد النشاط التجاري الذي يقوم به العرب. فقد عني حكام المسلمين بالطرق والأمن وحددوا المكاييل والمقاييس السليمة، وأشاع التاجر حوله جوا من الثقة، فلقي ترحابا أني حل، وأصبح بيته منارة للفكر الإسلامي بما يحمله من مدنية وحضارة، واختار مساعديه من الجنوب، ومن خيرة الناس، فهيأ للإسلام فرصة الانتشار والذيوع مع التجارة والتجار[٣]. وبذلك ساهمت في توطيد الصلات الثقافية العربيةالإسلامية بين بلاد الهوسا ودول المشرق العربي الإسلامي.ومنها: انتشارالإسلام .

---

(١) أحمد شلبي: مرجع سابق, ص ص١٩٤-٢٠٦. ,

M,A.H. Sharkawy: "Egyptian and Foreign El enents in the Evolution of West Arriccan Cultures C,U.D.A. Vol.1, (1933), p.190.

(٢) جعفرعبدالسلام: مرجع سابق, ص٨٦.

(٣) نعيم قداح: مرجع سابق, ص ص١٣٤-١٣٣., عطية مخزوم الفيتوري: الدراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء, مرحلة انتشار الإسلام, منشورات جامعة قاريونس, بنغازي, ط٤ ,١٩٨٨م, ص١٠١. ,

عبد العزيز كامل: جغرافية الإسلام في إفريقية, (د/ت), ص٤٠.

٣- انتشار الإسلام:إن دراسة الصلات الثقافية الخارجية لبلاد الهوسا مع المشرق العربي, يحتم الإشارة أولاً إلى أن أساس هذه الصلات أن العرب جاؤوا أصلاً إلى إفريقيا كتجارمنذ دهور ما قبل طلائع الفتح العربي الإسلامي لا يعرف أولها.وكان للتجار العرب والبدو بالصحراء الكبرى دور رائد في بذر النواة الأولى للصلات في المجتمعات الإفريقية(١),في ظل مجتمع وثنيي كانت الأديان المحلية والمعتقدات البدائية كعبادة الأصنام والتماثيل المنحوتة من الخشب والطين منتشرة في بلاد الهوسا, وكان منهم من يعبد الرعد والبرق والنار وبعض الأنهار والأشجار كما كانت توجد الطوطمية في بعض نواحيها, وتعبد أرواح الأجداد والتماسيح والثعابين وغيرها, وبينما كانت بلاد الهوسا تعيش في هذه الحالات(٢), إذ تسرب الإسلام والثقافة العربية إلى هذه المناطق بشكل سلمي منذ أواخر القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد (٣). وقد يكون حقيقة أن الإسلام في افريقيا قد قضى بالفعل على كثير من الديانات الطبيعية ولكنه مهد في نفس الوقت لظهور ديانة عالمية أعطت للأفارقه الكثير وقد يكون حقيقة أيضاً ان المسلمين قضوا على بعض الممالكالافريقية كما حدث في اسقاط مملكة غانا الوثنية ولكن مهد الطريق لظهور ممالك اسلامية افريقية كانت أكثر حضارة وثراء من مملكة غانا إذ أنه رغم ما وصلت إلية تلكمن ثراء ومن درجة عالية من التنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني إلا انها لم تتعدى مع ذلك نطاق الاقليمية الضيقة والقبلية المحدودة ومن ثم كان لدخول الإسلام وانتشاره أثر كبير في تقريب منطقة بلاد الهوسابغرب أفريقيا إلى منطقة البحر المتوسط والمشرق الإسلامي(٤).والجدير بالإشارة إن الإسلام ومؤثراته الثقافية العربية توغلت عبر الصحراء الكبرى إلى بلاد الهوسا تدريجياً حيث نشأت المراكز العلمية والتجارية التي جمعت بين أنماط محلية ونظم إسلامية, وفيها تفاعلت الثقافة العربية الإسلامية مع المؤثرات الإفريقية المحلية, ونتيجة لهذه الجهود اتسعت رقعة الإسلام حتى شملت معظم بلاد الهوسا بالجزء الغربي من القارة, وكان لهؤلاء المسلمين من العرب والأفارقه الذين اعتنقوا الإسلام دوراً هاماً في تاريخ المنطقة وحضارتها, كما صاروا

---

(١) عبد الرحمن قدوري: الجذور التاريخية للعلاقات المتبادلة بين شمال إفريقيا, الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية, العدد الأول: ديسمبر٢٠١٥م, ص٤٤.

(٢) عبد الرحمن قدوري: مرجع سابق, والصفحة.

(٣) مطير سعدغيث أحمد: مرجع سابق, ص٨١.

(٤)جمال زكريا: تاريخ العرب في أفريقيا سبيل للتقارب أم للتباعد, رؤوف عباس حامد(المحرر) ضمن: العرب في أفريقيا "الجذور التاريخية والواقع المعاصر, مرجع سابق, ص٢٣.

يشكلون مركز ثقل ثقافي تجاري فيها, وقد ظلوا على صلة وثيقة بالوطن العربي, في المشرق وشمال إفريقيا وذلك بفضل الصلات الدينيةوالثقافية والبعثات التعليمية والمبادلات التجارية قديماً وحديثاً[١].حيث أخذ الإسلام يتطور في وادي النيجر بين النشؤ والارتقاء ويتقلب بين الانتشار والانحصار, ويعود ذلك إلى أن بعض القبائل ظلت متمسكة وثنيتها حتى دخول المبشرين في ركاب الاستعمار الحديث. وكان تسامح الإسلام وعدم إكراه الناس على الدخول فيه يدفع الإسلام احياناً إلى كفة الرجحان وينزل به إلى كفة النقصان احياناً أخرى[٢].وكانت التجارة تدفع القبائل إلى التحرك جنوبا في الصحراء الكبرى وتستمر حركتها إلى أن تصل غرب القارة, وهذا يعني أن الصحراء كانت عامل وصل بين الإنسان وحركته واقامة مجتمعات إسلامية قوية [٣].

٤- الدعاة والعلماء والأئمة: إذا كان الإسلام قد دخل إلى شمال أفريقيا بواسطة الجنود الإسلامين, فإنه دخل إلى جنوب القارة عن طريق الدعاة والتجار, ومعتنق الإسلام يصبح صاحب فكرة تنتقل منه إلى غيره, ولا يوجد أي تضارب بين الفاتح والداعي, فالداعي المسلم يأتي عقب الفاتح ليكمل النقص في تحويل الناس إلى الإسلام[٤]. ويبدو أن هذا هو السر الحقيقي في نجاح الدعاة, فليس هناك هوة بين الداعي إلى الإسلام والمتحول إليه, إذ يصبح كلاهما متساويين أمام الله [٥]. وكان للدعاة دور هام في نشر الإسلام والثقافة العربية, حيث شجعوا الناس على تعلم اللغة العربية, وكانوا يتحركون في الأسواق والمراكز التجارية ويحتكون بالسكان المحليين ويؤثرون فيهم سلوكيا[٦]. وأن وضح نشاطهم الدعوي والتجاري ملموسا ببلاد الهوسا في القرن الثامن عشر الميلادي , يرجع إلى:

أ- المعروف سالفاً, قد سار هؤلاء الدعاة والأئمة على الدروب نفسها التي خطتها سنابك خيول طلائع الفتحالإسلاميمنذ وصولها إلى الشمال الأفريقي, بل جاوزتها جنوباً. ومن ثم سهلت توافدهم على منطقة الصحراء الكبرى وما بعد ذلك, إذ أدت إلى نشأت المحطات والاستراحات على طول

(١) عبد الرحمن قدوري: مرجع سابق, ص٤٣.

(٢) آدم عبد الله الألوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفولاني, مكتبة وهبة, دار الكتب المصرية, مصر, ٢٠١٢م, ص٤١.

(٣) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: مرجع سابق, ص١٤.

(٤) جعفرعبد السلام: مرجع سابق, ص٨٩. ؛ حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق, ص ص١٦,١٧,٢٢.

(٥) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق, ص٧٧.

(٦) عبدالرحمن زكي: مرجع سابق, ص٦.

طرق القوافل لخدمة المسافرينعبر الصحراء مما كان له عظيم الأثر في الربط بين مناطق القارة شمالها وغربها, وساعدت أيضا الدعاة في نشر الإسلام واللغة العربية والحضارة الإسلامية(١).

ب- الداعي المسلم كان لا يجد غرابة في أن يكون داعيا وتاجرا معاً, فإذا برزت مدينة تجارية كان يؤمها البائع والمشترى وسرعان ما تصبح مركزا ثقافيا يؤمها المعلم والمريد حتى أصبح من الشائع أن مراكز الاحتكاك تبودلت فيها السلع والأفكار, وبذا لم يعد من السهل وضع حد فاصل بين الدور الذي قام به هؤلاء الدعاة, والدور الذي قام به التجار, غالباً ما كان هذان الدوران يجتمعان في رجل واحد ألا وهو الداعي التاجر, مما أدى إلى نشر الإسلام واللغة العربية والحضارة الإسلامية(٢).

ج- اجمع المؤرخون على أنالسلم والاقناع كان الطابع العام لانتشار هذا الدين, لذلك أقبل عليه الافريقيون اقبالا شديدا, فلم يشهر المسلمون الاوائل السيف إلا في الحالات الدفاعية التي خلقها تكتل الوثنية, وكان الداعية الاسلامي يتعقب الفاتح ليكمل النقص في تحويل الناس إلى الإسلام. في هذه الحالة, ليدخل الطمأنينة إلى نفوس وليقرب إليها الإسلام وقد شهد الرحالة الأوربيون على انتشار الدعوة بالطرق السلمية وقيام الداع بأعمال انسانية, تنطوي على الرفق في معاملة الأفريقيين, مما ساعد على تقدم الإسلام بسرعة كبيرة(٣).

د- وقد كان هؤلاء الدعاة أنموذجاًللداعية الذي تقوم دعوته على مبادئ الإخاء والمساواة ومحاربة الطبقية كما أمرنا ديننا الحنيف, وكون العلماء والدعاة في بلاد الهوسا فئة هامة حظيت برعاية الحكام وكبار التجار وعامة الشعب(٤). وكان المكانة البارزة التي حاذها العلماء والدعاة والفقهاء في مجتمع الهوسا , فقد تميزوا حتى في ملابسهم. وقد تركز دور الدعاة حول محاربة الأوضاع المورثة من ممارسات الحكم والعادات والتقاليد التي تتنافى مع مفاهيم الإسلام (٥). وبذلك ساهمت الصلات الخارجية لبلاد الهوسا مع المشرق العربي في الانتشار الواسع للعلماء والأئمةقد ساهم

---

(١)مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص١٥١. ,
Major Denham.,CaptanClappertonAnd the late Doctor Oudney; op. cit., p.179.

(٢) أحمد شلبي:موسوعة التاريخ الإسلامي, مج٦, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ١٩٨٢,ص١٩٤. , مطير سعد غيث أحمد, مرجع سابق, ص١٥٩.

(٣) نعيم قداح: مرجع سابق, ص١٣٤., توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام, ترجمة حسن إبراهيم حسن, عبد المجيد عابدين, القاهرة, ١٩٤٧م, ص ص٢٩٧-٢٩٨.

(٤) مطيرسعدغيثأحمد, مرجعسابق, ص١٥٢.

(٥) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: مرجع سابق, ص ١٦.

في مزيد من انتشار الإسلام واللغة العربية, وفي تهيئة الأجواء لحركة اليقظة الإسلامية الكبرى التي اجتاحت تلك المنطقة فيما بعد وخصوصاً خلال القرن الثامن عشر الميلادي(١).

٥- **الهجرات:**استقبلت بلاد الهوسا هجرات شعوب ومجموعات قادمة من مختلف الآفاق شملت عناصر عربية وبربرية صحراوية وزنجية أفريقية بأعداد هائلة في أزمنة مختلفة ولأغراض شتى. والمناطق التي توافدت منها الأغلبية العظمى من هؤلاء النازحين هي :

١- الشمال الأفريقي: عبر الصحراء الكبرى شمالاً, منذ عصر طلائع الفتوحات العربية الإسلامية في القرن الأول للهجرة , ظلت هذه الهجرات العربية تتتابع حتى القرن الخامس للهجرة, وفدت من شبة الجزيرة العربية إلى مصر, ومن أهما هجرة بنو هلال وبنو سليم, وانسابت في منطقة شمال أفريقيا بحثا عن ظروف معاشية أفضل, ودخلت حروب متصلة مع سكان هذه المناطق, وبعد فترة ذابت بين سكانها(٢).وقد ارتبطت إلى حد كبير بوصول المد الإسلامي وحضارته إلى بلاد الهوسا , إلا انه لم يكن يسيراً, بل أخذ فترات طويلة لأنه ارتبط بحركات القبائل العربية والبربرية والسودانية والزنجية في أطار من التنوع والتعدد, وتمثل مصر القاعدة والمنطلق الذي أخذ يتحرك عبر الصحراء الكبرى(٣).

ولا شك أن هذه الهجرات قد زاد وأتسع نشاطها, وان ساحت هذه المجموعات في الانتشار صوب الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى, حيث جدبت الصحراء وأجبرتهم الطبيعة وقسوتها إلى البحث عن ظروف معيشية أفضل أو هروبا من الصراعات والحروب القبلية, غير إن الأغلبية من السكان المحليين فضلوا إخلاء أماكنهم للهجرات الوافدة من شمالي الصحراء الأفريقي واتجهوا جنوباً. حاملين ثقافة وحضارة عربية إسلامية, إلا انه حدث امتزاج واختلاط , وقد أديا في النهاية إلى تعريب أهل البلاد الأصليين, فانتشرت بينهم اللغة العربية وأصبحت لسانهم, ذلك أن هذا الدين الجديد أظهر قدرته على أقناع أقوام وشعوب تنتمي إلى أصول شديدة الاختلاف واستيعابها, وصهرها في بوتقة مجتمع ثقافي وديني واحد(٤). وبذلك ساهمت هذه الهجرات في

---

(١) مطيرسعدغيثأحمد, مرجعسابق, ص١٥٦.

(٢)عبدالله عبد الرازق إبراهيم: التراث الحضاري الإسلامي لزعماء نيجيريا في القرن التاسع عشر, مجلة عالم الفكر, الكويت, ١٩٩٠م, ص١.

(٣)رجب محمد عبد الحليم وآخرون: لمحات نت تاريخ القارة الأفريقية, الموسوعة الأفريقية, المجلد الثاني, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ١٩٩٧م, ص ٧٤.

(٤)إيفان هربك: مرجع سابق, ص٢١.

توطيد الصلات بين الجماعات الوافدة والمقيمة, وكانت احد بواعث انتشار الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة.

ويكاد يتفق جمهور المؤرخون والجغرافيين العرب على تعريف هذه الظاهرة باسم زحزحة السكان المحليين الاصليين,أي تحركات سكانية في موجات من الهجرات القبلية جماعية أو فردية ومتتالية صوب الجنوب. واختلطوا بالشعوب والقبائل المستوطنين في الحيز الجغرافي بين مملكة بورنو وبحيرة تشاد شرقا والمنطقة الواقعة في الضفة الغربية لنهر نيجر غربا, ومن حدود مملكة أهير في الصحراء الكبرى شمالا– جمهورية النيجر حالياً– إلى حدود نهر بينوي جنوبا.

٢– هجرات من البورنو: في حين كان يتسرب إلى هذه المنطقة هجرات وافدة من بورنو شرقاً لعدد من الشعوب ولا سيما الفولاني , ثم الطوارق, ذات ثقافة إسلامية. ويحتمل أن الهجرة من بورنو إلى بلاد الهوسا كانت عملية قديمة جداً, لكننا لا نمتلك شهادات مكتوبة على ذلك إلا ابتداءً من القرن الخامس عشر الميلادي. غير أن استطاعت بعض من عناصر الشعوب المحليين الزنجية أن تحتفظ بالنصيب الأوفر من دمائها وتقاليدها الوثنية, وأكثرها لم يتعرض لغارات أو هجرات جدية من قبل الجماعات التي تحمل المؤثرات الإسلامية, بسبب التجائها إلى أقاليم تحميها بعض الظاهرات الطبيعية. ولذلك يرى سيلجمان وغيره أن هذه الجماعات الزنجية الصريحة توجد بوجه خاص في إفريقية الغربية فيما بين نهر السنغال, إلى حدود الشرقية لنيجيريا, وبالرغم من ذلك حدث تزاوج واندماج سلالي وثقافي مع السكان المحليين, أثمر عن أمة الهوسا, وتطلق كلمة الهوسا على اللغة التي تتحدث بها هذه الشعوب والقبائل , فهي لغة كانت ولا تزال منتشرة على نطاق واسع في غربي أفريقيا, وقد تأثرت هذه اللغة كثيرا باللغة العربية, وخصوصا بعد انتشار الإسلام في بلاد الهوسا(١).

مما سبق عرضه: قد ساهمتالهجراتبدوراًكبيراً في مد جسور الصلات بين القبائل سواء كانت عربية أو بربرية أو سودانية وزنجية, والوافدة من المشرق العربي الإسلامي أو المناطق الأفريقية , وهي التي كانت تتوغل في افريقيا الشمالية وغيرها عبر الطرقوالمسالك الصحراوية وما جاوزتها جنوباً, حاملين معهم التجارة والأفكار, كذلك الهجرات الوافدة منالبرنو شرقاً,أو من الساحل غرباً,

(١) مصطفى حجازي السيد: أدب الهوسا الإسلامي, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, المملكة العربية السعودية, ٢٠٠٠م, ص٤٠. ,محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية, دراسات إفريقية, الدار المصرية للتأليف والترجمة, القاهرة, ١٩٦٥م, ص٤٦., للمزيد أنظر:
The Kano Chronicle, p.111-104.

قد أدت إلى استيطانهم في المدن وحول أحواض الأنهار وفي المراعي والسهول, واندماجهم ومصاهرتهمللأفارقه المحليين, بالغ الأثر في نشر الإسلام والثقافة العربية في بلاد الهوسا.حيث كانت ظاهرة اجتماعية اقتصادية بالغة الأثر والتأثير.

٦- **قوافل الحج:**كانت شعيرة الحج من الشعائر التي استفاد منها المسلمين في نشر مبادئ وقواعد الإسلام في بلاد الهوسا. وكانت قوافل الحج تتسم بالديمومة خلال القرن الثامن عشر الميلادي, وساعدت تعلم مبادئ الحج وأسسه في ترسيخ العقيدة الإسلامية في أفئدة جماعات الهوسا. ومن ثم ساهمت قوافل الحج كوسيلة من وسائل انتشار الثقافة العربية الإسلامية, والتي نظمها حكام وعلماء وأهالي السودان الغربي, والتي لم تتوقف بل استمرت هذه الرحلات خلال القرن الثامن عشر للميلاد.والحج إضافة إلى كونه ركناً من أركان الإسلام فهو مناسبة اجتماعية, ومنارة ثقافية ومجالاً لسوق اقتصادية. ففيه تشهد الأماكن المقدسة في الحجاز تجمع الحشود من أجناس متعددة, ويكون فرصة لإظهار وحدتهم, ومناقشة أمورهم, ونهل بعضهم من علوم البعض الآخر, وتعلم المهارات التي تمدهم بأسباب البناء وعوامل الارتقاء والتطور بمجتمعاتهم المحلية(١), وكان الحج ومازال أهم العوامل التي تيسر فرصة الالتقاء بين الأفراد والجماعات والتبادل الفكري والثقافي(٢).

٧- **الطرق الصوفية:**تعد الطرق الصوفيةمن الظواهر الإسلامية التي لا يمكن إغفالها في تاريخ بلاد الهوسا. حيث لعب أتباعها دورا دينيا وسياسيا هاما في نشر الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا عامة وبلاد الهوسا بصفة خاصة.ويرجع المؤرخون وأهل الاختصاص دخول الطرق الصوفية في منطقة- بلاد الهوسا- إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر الميلادي, بواسطة جماعة من المهاجرين كانوا يتخذون واحة توات غربي المغرب مركزا لهم, ثم انتقل هؤلاء إلى ولآتة بجنوب شرقي موريتانيا فجعلوا منها أول مركز لطريقتهم(٣), إلا أنه قد برز دورهم في القرن

---

(١)مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص ص١٦٥-١٦٩.للمزيد أنظر, رجب محمد عبد الحليم, وآخرون: مرجع سابق, ص ص٨٢-٨٤.

(٢)شوق الجمل: دور العرب الحضاري في أفريقيا, رؤوف عباس حامد(المحرر) ضمن: العرب في أفريقيا: الجذور التاريخيةوالواقعالمعاصر, مرجع سابق, ص١٥٣.

(٣)محمد علي الهمشري, السيد أبو الفتوح وأخرون: انتشار الإسلام في افريقيا, ط١, دار أركان, الرياض, ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م, ص٦٢., موسى عبد السلام أبيكن: التصوف في غرب أفريقيا, مجلة حوليات التراث, العدد١٣, جامعة مستغانم, الجزائر, ٢٠١٣, ص٢٢.

الثامن عشر الميلادي, بسبب تطورها الحقيقي على يد قبائل الهوسا وقبائل الفولاني التي تقطن حوض السنغال(١). في منطقة جغرافية ذات سهول خصبة محصورة بين الصحراء الكبرى وجبال أير "Air"من الشمال وثنية النيجر في الغرب وبحيرة تشاد في الشرق والمناطق الساحلية لخليج غانا في الجنوب, وهو الحيز الذي سكنه قبائل الهوسا (٢).هذا ويقوم نشاط الفرق الصوفية في الغالب على الإرشاد ويعتمد على التعاليم الإسلامية ويقوم على حب الجار والتسامح مع المسيحيين(٣).وعن فن التصوف يقول محمد بلو: اعلموا أيها الناس أن صفات القلب على ضربين: مهلكات ومنجيات. فالمهلكات هي: العجب والكبر و"الحسد" والحقد والبخل والرياء وحب الجاه وحب المال للافتخار والأمل وإساءة الظن بالمسلمين. فهذه العشرة من المهلكات, من أصول مذمومات الأخلاق, فيجب على كل مسلم أن يتخلى عنها ويتحلى بالمنجيات وهي: التوبة والإخلاص والصبر والزهد والتوكل وتفويض الأمر إلى الله تعالى والرضى بقضائه والتقوى والخوف والرجاء, وهذا أيضاً من المنجيات من أصول محمودات الأخلاق, فمن أثبتها ثبت فروعها فيه بأذن الله (٤).مما كان له كثير الأثر في تاريخ وحضارة هذه البلاد ونهضتها. فقد رأى أهل بلاد الهوسا فيشيوخ الطريقة أولياء يتبركون بهم. وأن على كل مسلم هوساوي ضرورة ارتباطه بإحدى هذه الطرق الصوفية التي أقامت زواياها للعبادة ولإيواء الوافدين المحتاجين للمأوى والطعام, وللاعتكاف عن مباهج الدنيا وزينتها. وتعتبر الصوفية جزء من قواعد متعلقة بالرياضة الروحية(٥). وقد تحدثت المصادر التاريخية عن توافد شخصيات مشهود لها بالتقوى

---

(١) علىبدويعليسالمان: الطريقةالقادريةوالاستعمارالفرنسيفيموريتانيا (١٩٠٣- ١٩٦٠م), رسالةماجستير(غيرمنشورة) تاريخحديثومعاصر, معهدالبحوثوالدراساتالإفريقية, جامعةالقاهرة, ٢٠٠٣م, ص٣.

(٢) محمدفاضلعليباري, سعيدإبراهيمكريدية: المسلمونفيغربإفريقيا" تاريخوحضارة", دارالكتبالعلمية, بيروت, ١٩٧١م, ١٤٦. , مهديآدامو: مرجعسابق, ص٢٧٣.

(٣)سايبو, دجيبو: الدورالحضاريلشعبالهوسافيالفضاءالنيجيريمنالقرنالرابععشرإلىبدايةالاستعمارالأوربي, رسالةدكتوراه, المعهدالأعلىلأصولالدين, جامعةالزيتونة, تونس,٢٠٠٨م, ص٢٧. ؛

Reger Michel; Prehistoire et histore, in Les Atlas JeuneAfriqus; Niger, Editions J.A, Paris, 1980, p.4-8.

(٤) محمد بلو: مرجع سابق, ص١٢١.

(٥) قحام عمار, بن شعبان سلمى: الطرق الصوفية في السودان الغربي ودورها في الحياة الثقافية والدينية (ما بين القرنين ٩هـ-١٣هـ/ ١٥م-١٩م), رسالة ماجستير في التاريخ, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة ٨ ماي- قالمة, الجزائر, ٢٠١٦/٢٠١٧, ص١٤. , للمزيد أنظر, عبد القادر سيلا: المسلمون في

والورع والزهد إلى بلاد الهوسا, ما مكنهم من القيام بدورهم الدعوي بكفاءة, وفضلوا سكنى القرى والنجوع, ومارسوا نشاطهم في الليل وتكيفوا مع بيئة المجتمعات السكان المحليين وعاداتها وتقاليدها وكانت الطقوس واستعمال الدفوف والطبول في حلقات الذكر قد وجدت قبولا لدى الأفريقيين, لأنها تخلط بين العبادة والحركات الراقصة(١).ولقد كان دور هذه الطرق الصوفية في هذه المناطق منصبا على نشر الإسلام بين القبائل الوثنية وكذلك تسعى نحو غرض واحد وهو الوصول بالإنسان إلى درجة الكمال, وفق ما يتناسب مع أفكار الشعوب البدائية كما أنهم لم يكن لديهم شروطاً تتعلق بالانخراط في سلك طريقتهم الخاصة بهم بل كان انخراطهم فيها عشوائياً(٢), وكان التصوف الديني أحد الوسائل لتحقيق هذه الغاية, وكان نشاطهم لم يتوقف على تلقين الأوراد فقط بل كان لكل طريقة " ورد " خاص بها, بل تخطاه إلى اعتبار التعليم عملا اساسيا في دائرة نشاطهم, وكانت الزوايا بمثابة مراكز للذكر والصلاة بجانب الدراسة والتعليم, وكانت مصدرا للفتوى والتشريع تعقد فيها جلسات القضاء المحلي(٣), ولعبت الزوايا دورا هاما في نشر العقيدة الإسلامية وتنقيتها من البدع والشوائب التي امتزجت بها.

ومن أشهر هذه الطرق التي تسعى لذلك في القارة الإفريقية وامتدت إلى بلاد الهوسا هي: القادرية والتيجانية والسنوسية, وهم أكثر الطرق انتشارا في المنطقة(٤).

وكان التعليم الصوفي يتم على مرحلتين:المرحلة الأولى/ وهي عبارة عن تعليم عام لمبادئ القراءة والكتابة والتفسير والحديث والفقه وبقية علوم الدين.

السنغال معالم الحاضر وأفاق المستقبل, ط١, رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية, قطر, ١٤٠٦هـ, ص١٢٨.

(١) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: الطرق الصوفية في القارة الإفريقية, ط١, دار الثقافة للنشر والتوزيع, القاهرة, ٢٠٠٤م.

(٢)عبد الله عبد الرازق إبراهيم: مرجع سابق, ص ٢١٥-٢١٧. , محمد فاضل علي باري, سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا" تاريخ وحضارة", دار الكتب العلمية, بيروت, ١٩٧١م, ١٤٦. , مهدي آدامو: مرجع سابق, ص٢٧٣.

(٣)أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي, الاسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراءمنذ دخلها الإسلام حتى الآن, ط٥, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ١٩٩٠م, ص٢١٠.

(٤) قحام عمار, بن شعبان سلمى: مرجع سابق, ص١٥., أحمد شلبي: المرجع السابق, ص٢١٠.

أما المرحلة الثانية/ وهي تعليم صوفي حقيقي, ويتم على مستويين, يتلخص أولهما في نشر الطريقة بين الاتباع " والمريدين " بإشراكهم في حلقات الذكر وحفظ الأدوار ثم العهد ليصبحوا من أصحاب الطريق. أما المستوى الثاني فيهتم بإعداد الرواد الذين يتولون قيادة حلقات الذكر وأعضاء العهد نيابة عن القضب ,

ومن أولى الطرق الصوفية التي أدت دورا مميزا في نشر الإسلام والثقافة العربية هي الطريقة القادرية التي أسسها عبد القادر الجيلاني (١٠٧٩/١١١٦م) بالعراق. وأكثر معتنقي هذه الطريقة هم من الهوسا والفولانيين[١], وتشير المصادر إلى أن تعاليم الصوفية التي آمن بها الشيخ عبد القادر الجيلاني قد وصلت إلى بلاد الهوسا عن طريق الشيخ المصري مرتضى الزبادي في القرن الثامن عشر الميلادي, وأخيرا عن طريق شيخ البربر من أغاديس ويدعى جبريل بن عمر أحد أساتذة الشيخ عثمان بن فودي ويشير الشيخ عثمان إلى المختار الكنتي في كتابه السلاسل القادرية, وأيضاً في كتابه وجوب الهجرة,وتعتبر القادرية من بين أقرب الطرق الصوفية إلى مذهب السنة والجماعة, وقد انتشرت انتشارا واسعا في كل بلاد أفريقيا الغربية , وكان المسلمون الذين تربوا في مسلك نظام الصوفية التي كانت تقوم على حب الجار والتسامح يؤسسون المدارس في بلاد الهوسا وينفقون عليها, حيث كان نشاطهم في الدعوة طابع إسلامي يعتمد على الإرشاد وأن يكونوا قدوة لغيرهم, وكانت دعوتهم إلى الإسلام أساسها الإقناع والحكمة والتأثير في المجتمعات الوثنية بطريقة سلمية لا مجال للعنف فيها[٢].

وأياً كان الأمر, فقد ساهمت الطرق الصوفية بشكل واضح في نشر التعليم والثقافة العربية الإسلامية باللغة العربية, وكانت خير عون للمدارس القرآنية والمعاهد العلمية, ولا تزال الطرق الصوفية وغيرها تلعب دورها في تأكيد انتشار الثقافة الإسلامية العربية في بلاد الهوسا .

---

(١)سايبو, دجيبو: مرجع سابق, ص٢٨. , على بدوي سالمان:مرجع سابق, ص٤٠٦؛

Cuoq Joseph M.; Les musulmans en Africa, Editions G.P., Maisonneuve et Larose, Paris 1975, P.196-197.

(٢)عبداللهعبدالرازق: حركات التجديد الدينية ودورها في نشر الحضارة الإسلامية في غرب أفريقيا, دراسات عربية وإسلامية, العدد٧, مركز اللغات والترجمة– جامعة القاهرة , ١٩٨٨م, ص ص١٠٤–١٠٦. ,

عبد الله محمد بازينة: انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء, ط١, دار الكتب الوطنية, بنغازيليبيا, (د.ت), ص ص٢٠–٢١.

المبحث الثالث:
الصلات الثقافية لبلاد الهوسا مع مصر

إن دراسة الصلات الثقافية الخارجية لبلاد الهوسا مع بلاد المشرق العربي ومؤثراتها في مجتمع الهوسا تستلزم القاء الضوء عن الاتصالات الثقافية لهذه المنطقة مع مصرالأزهر.

كان لموقع مصر الجغرافي الفريد الذي جعلها مدخل للقارة الأفريقية ولما كانت مصر من أولى البلاد الأفريقية دخولاً في الإسلام فقد أصبحت هي مركز الإشعاع الرئيسي للحضارة الإسلامية وتعاليمها عن طريق الهجرات إلى داخل القارة الأفريقية وأصبح لها ريادة في نشر الدين الإسلامي. وقد توطد هذا الدور وعظم بفضل الأزهر الشريف الذي دعم الثقل الحضاري لمصر(١).

وفي القرن الثامن عشر الميلادي, ارتبط الرافد الثقافي بالتبادل التجاري وانعكاساته على أحوال مصر وبلاد الهوسا, وتجلت مظاهره في مواكب الحج وأثرها في التبادل التجاري, حيث كان موسم الحج مناسبة هامة في حياةأبناء مصر وبلاد الهوسا, ففي مصر كانت تثري الحركة والنشاط في أوصال المجتمع, فتزدهر الأسواق المخصصة لبيع لوازم الحجاج, وينتظر الناس هذه المناسبة بشوق وتلهف(٢) .

كما أصبح دخول مصر بالنسبة لحجاج هذه البلاد لا يعني فقط مجرد المرور في طريقهم إلى الأراضي المقدسة بمكة المكرمة ومصاحبة ركب الحجاج المصري لتأدية مناسك الحج , بل أصبح في نظر أولئك الحجاج اتصالاً عميقاً بحضارة عربية إسلامية متطورة ذات تراث عربي إسلامي عميق الجذور. ومما ساعد على كثرة قوافل الحج الأتية من هذه البلاد – بحيث لا يمر عام إلا ونسمع عن موكب ضخم قادم منها– انتشار الإسلام بشكل كبير في تلك البلاد, إلى جانب حالة الأمن والاستقرار التي تمتعت بها الطرق ووجود الاستراحات الجاهزة لقضاء الليل مع وفرة المؤن بها للمسافرين, بفضل مجهودات الحكام وكبار التجار(٣).

ومن المؤكد إن مواكب الحج لعبت دوراً رئيسياً وهاماً في زيادة التبادل التجاري والثقافي بين مصر وبلاد الهوسا بصفة خاصة وغرب أفريقيا بصفة عامة في القرن الثامن عشر

---

(١) محمود عباس أحمد: الأزهر وأفريقيا: دراسة وثائقية, الدار العالمية للنشر والتوزيع, ٢٠٠٤, ص٩.

(٢) على السيد على محمود: التبادل التجاري بين مصر وبلاد التكرور, رؤف عباس حامد(المحرر) ضمن: العرب في افريقيا" الجذور التاريخية والواقع المعاصر", مرجع سابق, ص٨٨.

(٣) على السيد على محمود: مرجع سابق, ص ص٨٨–٨٩.

الميلادي. حيث كانت قوافل الحج التي تعبر مصر تتمركز في القاهرة لفترة من ليست بقصيرة تمتد ما بين أسبوعين إلى ثلاثة أشهر, ويتفاعلوا مع الحركة التجارية الرائجة في الأسواق المصرية ومع التبادل التجاري تنتقل الأفكار ما بين تأثير وتأثير, هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد استفادوا

من خبرات إخوانهم الذين اقاموا في القاهرة في بعض ضواحي القاهرة وفي قرافة مصر وفي الرواق الخاص بهم في الأزهر الشريف, فضلاً عن من اقاموا في أسواق القاهرة وامتهنوا بعض الاعمال التجارية[١].ومما تقدم كانت التجارة قبلة لانتشار الافكار الدينية والسلوكيات الخاصة في الأسواق والأزقة وفي كل المناطق التي شاهدت توافد أهالي غرب أفريقيا إلى القاهرة, مما كان له أثره في رغبتهم العلمية بالانتظام في الأزهر الشريف؛حيث أدىدوراً هاماً في هذه العلاقة التي امتدت بين مصر وبلاد الهوسا,شملت شتى نواحي الحياة من العلم والثقافة، ونبغ فيه الكثير من الطلاب الذين تلقوا العلوم به خلال القرن الثامن عشر الميلادي, حيث يجدون العلماء في كل علم إسلامي، ويجدون الرعاية والأرزاق مما أوقفه السلاطين وكبار التجار، فأنشأ به السلاطين الأروقة المختلفة لتضم جميع الطلاب المسلمين[٢].وأصبحت مصر قبلة تجارية ومنارة علمية يقصدها أهالي بلاد الهوسا, كما هي الحال لمعظم مسلمي أفريقيا؛ لوقوعها على طريق الحج, ووجود الأزهر الشريف[٣].مما حفزالطالب بعد أن يتم دراسته في بلده ويجد لديه الرغبة في تحميل المزيد من العلوم الإسلامية يبدأ في شد رحاله تجاه الجامع الأزهر على وجه الخصوص، لتميز الأزهر، ولوجود إمكانية لدراسة معظم المذاهب الإسلامية، وتحصيل قدر عظيم في علوم العربية، بالإضافة إلى شهرة حكام وكبار التجار في مصر بالعطايا التي كانوا يغدقونها على طلبة العلم والعلماء بمختلف جنسيتهم وألوانه[٤]. ومن ثم غداالأزهر بالنسبة لأبناءبلاد هوسا قبلة علمية يتمنون التيمم نحوها؛ للاستزادة من علومه، والتلمذة على يد شيوخه؛ وقد كان من النتائج الإيجابية لهذا التفاعل الفكري والإسلامي أن برز عدد من علماء المنطقة في شتى علوم الدين والتاريخ والفقه. وممن نبغ من هؤلاء نذكر بعض منأهمأعلامالهوسا:

---

(١) نفس المرجع, ص٩٠.

(٢) زاهر رياض: مصر وإفريقيا, ط١, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, ١٩٧٦م, ص١١١.

(٣) مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص١٣٧.

(٤) عبدالرحمنزكي: الأزهر وماحوله من آثار, الهيئةا لمصرية العامة للتأليف, ١٩٧٠م, ص٦٥.

١- الشيخ جبريل بن عمر كان يلقب بـ (أبي الأمانة) : هو جبريل بن عمر, لقب بأبي الأمانة علم من أعلام الهوسا, ولد بمنطقة آدر لم نعثر على تاريخ مولده إلا أنه كان على قيد الحياة عام ١٧٥٠م, درس على يد والده وعلماء عصره وتتلمذ على الشيخ جب, المتوفى ببلده بمارنوا في أواخر عام ١٧٠٠م, وتتلمذ على يديه الشيخ عثمان بن فودى وأخوه عبد الله, وأبو بكر بن عثمان, ومحمد بن الحاج, ومحمد بلو بن عثمان, وقد عرف بشمائله الجميلة نذكر منها محاربته للعادات السيئة في أرض السودان, وقد تفانه في نشر الإسلام وحبه للرسول صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه وحلمه حسن الكلام مع من لقيه, لا تغادره البسمة, لا يحقد على أحد كلامه طيب لجميع الناس, كما أنه دو بسط ودعابة. ولقد قام برحلتين للأراضي المقدسة ولقى هناك يوسف الحفناوي, والشيخ المرتضى وأخذ عنهما, وأسس مركزاً علمياً في منطقة ماجينا للتعليم العالي ارتاده القادمون من أنحاء غرب أفريقيا, ومن بين الطلبة الذين تلقوا تعليمهم في هذا المركز عثمان بن فودي وعبد الله فودي وغيرهم(١).

٢- محمدالكاتسيناوي: هو محمد بن محمدالكاتسيناوي, نسبة إلى مدينة كاتسينا,المتوفى عام ١٧١٤م, من أبناء القرن الثامن عشر الميلادي, بيته بين علم ووقار من أهالي كاتسينا, درس في منارات ومدارس غرب أفريقيا, فمن بين محطاته العلمية دراسته في مدينة برنو على يد الشيخ محمد كرعك درس عليه علوم الأسرار والرمل والتنجيم. وقد ألف الكاتسيناوي عدة مؤلفات موجودة في خزائن المخطوطات بالقاهرة ومراكش وجامعات لندن ونيجيريا. وقد سافر في رحلة للحج بقصد تأييد فريضة الحج والتزود بالعلوم, والمعارف, ولقد ترحيبا واحتراما بكل المدن التي مر بها , توفي بمصر عام ١٧٤١م(٢).

٣-عمر بن حمد بن أبي بكر الترودي: قدم أهله من مدينة ركب لم نعثر على تاريخ ولادته ووفاته, قال عنه الشيخ محمد بلو صاحب إنفاق الميسور: " الشيخ العالم العلامة والتحرير النهامة البليغ عمر...". كان عالماً جليلاً نشأ في بيت علم ووقار, تتلمذعلى علماء عصره وظهر نبوغه منذ صباه حفظ القرآن وتعلم فنون العربية. له تأليف وأشعار منها تخميس على الكواكب الدرية للبوصيري, وله تخميس على بانت سعاد.... رحل صاحبنا إلى الشرق بقصد الحج إلا أنه لم يصل إلى الأراضي بل نزل بالازباكية وتوفى بها (٣).

٤- محمد الكشناوي الفولاني قد رحل إلى الشرق وحج وجازر الحرمين، ورجع إلى مصر وتوفي بها، ويقال أنه أقر بالعلم والفضل علماء الحرمين، ومصر، والهوسا، ومنها القاضي محمد

---

(١) الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق, ص١٣١.

(٢) نفس المرجع, ص١٢٨-١٢٩.

(٣) نفسه, ص١٣٠.

بن محمد التازختى، وكان عالما فقيها فيها محصلا، جيد الحفظ، حسين الفهم، كثير المنازعة، ثم رجع لبلاده السودان، وتوطن كاتسينا فأكرمه أصحابها، وولوه القضاء(١).

ولقد ساعد استقرار العديد من المشايخ والعلماء ورجال الدين في إمارة كاتسينا على انتشار الإسلام انتشارا سريعا؛ لأن هؤلاء العلماء كانوا ذوي تأثير قوى وفعال في النفوس وسلوكهم الإسلامي الحسن، وحسن خلقهم، وحسن عشيرتهم، ومكانتهم العلمية، قد ساعد على تقرب الشعب منهم، والاستماع إليهم، والأخذ عنهم، وحضور حلقات الدرس التي كانت تعقد في المسجد الكبير، والبعض من أهل كانسينا أقبل على طلب نسخ من المحفوظات التي كانت لدى هؤلاء العلماء، والتي أحضروها معهم(٢). وشهدت بلاد الهوسا ازدهار في تجارة الكتب، وخصوصا الكتب التي كانت ستقدم من مصر وبلاد المغرب(٣).وأصبحت معاهدها في كانووكاتسينا وغيرها من إمارات الهوسا على صلة بالأزهر الشريف على مر العصور، وألحقت المعاهد بالمكتبات وزودت بكثير من المؤلفات، واهتم الحكام بشرائها من مصر والمغرب وغيرها من البلدان الإسلامية(٤).وبذلك كان للأزهر مكانة خاصة لدى أبناء الهوسا بفضل ما يلاقيهالطلاب فيه من العلم، ومن أسباب التيسير في الدراسة والإقامة، ويعود الطلاب الأفارقه الذين يدرسون فيه إلى بلادهم بعد حصولهم على قدر كبير من التعاليم والمعارف الإسلامية، وينشرون اللغة العربية؛ فيقومون بنشر هذه التعاليم في بلادهم في المدارس وفي الجامعات، وكثير من هؤلاء الطلاب الوافدين إلى الأزهر يكون لهم شأن كبير في بلادهم؛ فعند عودتهم إليها يتولون قيادات سياسية وتعليمية، ويقدمون الكثير من الخدمات الاجتماعية المتعلقة بشئون بلادهم، ويكون لهم تأثير كبير في المواقع التي يشغلونها(٥).وبذلك أصبحت مدنهم مراكز حضارية في غرب افريقيا لتجذب إليها طلاب العلم(٦). وغدا الأزهر قبلة العلماء، والأساتذة، والطلاب من أفريقيا عامة،بل أعظم مركز للدراسات الإسلاميةخلال القرن الثامن عشر الميلادي، ومنبراً للزعامة الفكرية والثقافية في مصر، وأنحاء العالم الإسلامي.

---

(١) منى محمد عادل: مرجع سابق, ص١٤٦.

(٢)نفس المرجع والصفحة.

(٣) نفسه, ص١٤٧.

(٤) نفسه والصفحة.

(٥) شوقي الجمل: الأزهر ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا, الهيئة العامة للكتاب, مصر, ١٩٨٨م, ص١٦١.

(6)Hogben, S.J; The Muhammad And Emirates of Nigeria, London, 1930, p.51.

المبحث الرابع:
الصلات الثقافية لبلاد الهوسا مع مملكة بورنو الإسلامية (Borno):

أما عن الصلات الثقافية لبلاد الهوسا مع الممالك الأفريقية المجاورة ومؤثراتها في مجتمع الهوسا تستلزم القاء الضوء عن الاتصالات الثقافية لهذه المنطقة مع مملكة البورنو.

تقع هذه المملكةفي بلاد السودان الأوسط الذي يتكون من حوض بحيرة تشاد وما يقع حولها من بلدان تمتد من نهر النيجر غرباً إلى دارفور شرقاً, وكانت بحيرة تشاد مهد سلطنة الكانم والبورنو)[١].أي في الشمال الشرقي لنيجيريا حالياً, وفي غربي تشاد (Tchad) وشرقي بلاد الهوسا, وهي في الماضي إحدى أقاليم إمبراطورية كانم (Kanem) التي تجاور السودان وليبيا, وعاصمتها هي مدينة غيدام (Gaidam)[٢].لقد قامت هاتان المملكتان على التعاقب حول بحيرة تشاد,ولذلك يقسم بعض المؤرخين والباحثين تاريخ مملكة بورنو إلى عصرين هما: عصر سيادة الكانمي ثم عصر بورنو, ويقع إقليم كانم في الشمال الشرقي لبحيرة تشاد وإقليم بورنو غرب البحيرة)[٣].والبورناويون قوممن البرابرة جيران النوبة, في حدود مصر العليا[٤].

وقد ذكر صاحب(إنفاق الميسور) أن بورنو بلد يسكنها قوم كثيرون من العرب, والبربر, والفولاني, وكذلك فبلاد الهوسا يعمرها السودانيون, حيث ذكر إن أهل بورنو من ذلك البلد, وأن أهل هذه الإمارات السبع من ولد باو, وهو مملوك سلطان بورنو, وهي بلدة ذات أنهار وأشجار ورمال, واسعة عامرة بالسكان[٥]. وكان تأثيرها عظيماً بلا ريب في بلاد الهوسا منذ زمن بعيد.

والهوسا يستعملون عادةً عبارة باريباري (أو بربيري) لتسمية شعوب إمبراطورية كانم– بورنو. وكانت هذه الطبقات المهيمنة على علاقات بورنو مع بلاد الهوسا– وهم القادة والتجار ورجال الدين– من أصل كانوري خاصة, وبذلك أصبحت بعض مظاهر ثقافة كانوري هي الممثلة للشعب البايباري.وتكتسي العلاقات مع كانم– بورنو, في تاريخ بلاد الهوسا,أهمية فائقة, لأنه من

---

(١)عبد الوهاب علالي, عبد العزيز اقرابو: حركة محمد الأمين الكانمي وجهوده الإصلاحية في بلاد السودان الأوسط والغربي خلال القرن١٣هـ/ ١٩م, رسالة ماجستير في التاريخ, قسم العلوم الإنسانية, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية, جامعة أحمد دراية أدرار, الجزائر, ١٤٤٠/ ٢٠١٩م, ص١٣.

(٢) محمد لواء الدين أحمد: مرجع سابق, ص٦٤.

(٣) عايدة العزب موسى: قرن الرعب الأفريقي– الغزو والمقاومة– سلسلة الوعي الحضاري(١١), ط١, دار البشير للثقافة والعلوم, مصر, ٢٠١٤م, ص١٢٥.

(٤) آدم عبد الله الإلوري: مرجع سابق, ص٤٧.

(٥) محمد بلو: مرجع سابق, ص ص٥٥–٩٨.

هذه العلاقات اسُتعيرت عدة عناصر ثقافية وأفكار جديدة, صارت فيما بعد جزءًا لا يتجزأ من ثقافة الهوسا وحضارتها، فقد بدأت الاتصالات بين الهوسا وشعوب الكانوري حين كانت هذه الشعوب تقطن كانم؛ لكن هذه العلاقات قد اتسع مداها عندما استقرت هذه الشعوب لمدة طويلة ببورنو جنوب غربي بحيرة تشاد(١).

والجدير بالإشارة يحتمل أنالهجرة من بورنو إلى بلاد الهوسا كانت عملية قديمة جداً, لكننا لا نملك شهادات مكتوبة على ذلك. حيث تتحدث حوليات كانو عن قدوم أشخاص عديدون– خاصة من العلماء والتجار– يصلون إلى بلاد الهوسا في فترات زمانية مختلفة. وقد استقروا في كل مكان تقريباً, ولا سيما كانووكتسينة وزارية. لكن يجب ألا تستبعد هذه الإمكانية(٢).

غير أن من الشواهد علىتطور العلاقات التجاريةوالثقافية بين بورنو وبلاد الهوسا؛ يرجع إلى:

أولاً: بسبب وقوع هذه الإمارات مجالاً للاحتكاك والتأثير الحضاريوالسياسي مع بورنو وبلاد غرب أفريقيا, حيث شكلت أراضي الهوساوالمجاورةلمملكة بورنو من الجهة الغربية منفذاً لهذه المؤثرات الحضارية والوافدةمن الأطراف الشرقية صوب الساحل ومناطق بلاد غرب أفريقيا؛ ممأادت إلىانعكاساتها الثقافيةفي نشر الإسلام وحضارته في بلاد الهوسا.ولا يخف كانت توجد صلات تجارية بين إمارات الهوسا، والبورنو منذ زمن بعيد. تأكدتبالدور الذي كان يقوم به التجار والدعاة والصوفية في نشر الإسلام في بلاد الوثنية, فقد اعتنق حكام بلاد الهوسا الدين الإسلامي،وانتشر الإسلام في إمارة كاتسينا عن طريق التجارة والتجار الوافدين إليها من بورنو، وأصبح لهذه المدن تجارة واسعة، وكان بها الأسواق العامرة بشتى أنواع السلع المختلفة(٣).

ثانياً: رغم أن دخول الإسلام أول مرة إلى بلاد الهوسا محل جدال بين أهل الاختصاص. وقد قبل عديد المؤلفين, دونما نقد, ما جاء في حوليات كانو, من أن الإسلام قد يكون دخل هذه الجهة عن طريق التجارالونغريينالذين جاءوا من إمبراطورية مالي. وعلى الرغم من أنها الشهادة الأولى للإسلام ببلاد الهوسا التي تتحدث عنها المصادر المكتوبة, فقد يكون من الراجح أن الإسلام أخذ في الانتشار قبل ذلك في بلاد الهوسا. فقد كان الإسلام موجوداً, في المقام الأول, بكانم– بورنو,

(١) مهدي آدامو: مرجع سابق, ص٢٨٥.

(٢) المرجع نفسه, ص٢٩٢.

(3)Trimingham, J.S.; The Christian Church and Islam in West Africa, London,1968, p.18

وكان تأثيراتها الإسلامية مسلطة على كانو منذ أمد بعيد, والدليل وجود كلمات عربية كثيرة مرتبطة بالدين أدخلت إلى الهوسا بواسطة الكانوري(١).

ثالثاً: مع نهاية القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي يمكننا القول بأن الإسلام قد انتشر انتشاراً كبيراً في بلاد الهوسا, في أوساط العامة والخاصة بدرجات متفاوتة, وأصبح إلى حد ما (دين الدولة الرسمي) وخاصة في هذه الدويلات: كانو,وكاتسينا, وزاريا(٢). وعلى العموم,ارتبطت بورنو بعلاقات اقتصادية مع البلدان المجاورة لها، وبالأخص إمارات الهوسا؛ إلا إنها كانت تفرض نفوذها السياسي أيضاً على إمارات الهوسا, ويكاد يتفق المؤرخون والباحثون على أنها مارست نفوذاً سياسياً على كاتسيناوأجبرتها أيضاً على إرسال إتاوة سنوية بمائة "عبد" لكي تغزو غومو(٣). وبعض إمارات الهوسا الأخرى, حيث كانت ترسل جزيتها إلى دورا ومنه البورنو. ولا نعلم إلى أي حد أصبحت بلاد الهوسا مستقلة عن برنو، ولكن الاعتقاد بأن, بيرام, وكانو كانتا في البداية التابعين الوحيدين لبورنو نظرا إلى أن كانو كانت الدولة الهوساوية الرئيسية والواقعة على حدود بورنو، وأنها كانت ملفتة الانتباه الكانوري، واستمرت على تلك الحالة حتى هجوم الفولاني عليها, وهو ما عرف فيما بعد لدى المؤرخون والباحثون بالفترة الجهادية ببلاد الهوسا, خاصاً في القرن الثامن عشر الميلادي.

وحقيقة طبيعة سيادة بورنو على بلاد الهوسا ومختلف مناطقها فيما قبل القرن الثامن عشر الميلادي–تقتضيبحوثاًأخرى لخروجها عن فترة الدراسة –يرجع إلى أن عرفت بورنو استقراراً بعد فترة طويلة من الصراعات اللامتناهية. وكان هذا الاستقرار مرتبطاً بإنشاء عاصمة محصنة, غربي تشاد, كانت فيما بعد قاعدة صلبة لتوسع بورنو غرباً في بلاد الهوسا.إلا أنه فيالقرنالثامنعشرالميلادي صار من الثابت أن تأثير بورنو, قد أصبح أشد وضوحاً, وأنه يمر أساساً عبر كانو, مسهماً بذلك في تطور بلاد الهوسا ثقافياً(٤).

يمكن أن نلاحظ وضوح هذه الاتصالات الاقتصادية بين بورنو وكانو, أن شهدت هذه المدينة توسعا تجاريا هائلا, وكانت التجارة وطرقها كانت مفتوحة ومتصلة بين الطرفين، وارتبطت مع بورنو بروابط تجارية قوية,ورغم ذلك كانت تدفع الجزية لبورنو. فضلاً عن ازداد التأثير

(١).مهدي آدامو: مرجع سابق, ص٢٩٤.

(٢) محمد لواء الدين أحمد: مرجع سابق, ص٦٣.

(٣) مهدي آدامو: مرجع سابق, ص٢٨٥.

(٤) نفس المرجعوالصفحة.

الإسلامي القوى لبورنو في بعض إمارات الهوسا ، نتيجة لخضوع هذه الإمارات لمملكة بورنو السياسية، ومن هنا فإن بورنو استطاعت أن تدعم تأثيرها الثقافي بعد أن دعمت نفوذها السياسي(١).وفي المقابل كان التجار من بلاد الهوسا إلى يذهبون إلى أسواق بورنو؛ لكي يقوموا بشراء المنسوجات والأبل التي لكانت تأتي إليها من الشمال، والمنتجات التي كانت تصنع في بورنو، لكي يتبدلوا السلع المتوفرة في بلاد الهوسا مع السلع الزائدة عن حاجة سكان بورنو.حتى أنه كادت بورنو وإمارات الهوسا ان تكون وحدة اقتصادية واحدة، ومن هنا فقد أصبحت بورنو والهوسا محطات استراتيجية لخدمة الطرق التجارية العابرة للصحراء ، وبذلك استطاعت بورنو ان تتصل ثقافياً بجيرانها من الهوسا، وتؤثر في الحياة الثقافية في إمارات الهوسا، حيث كان يوجد في بورنو نظام ممتاز للتعليم يعتمد على نشر الثقافة الإسلامية في أرجاء البلاد، لمحاولة خلق روح إسلامية قوية بين شعوب السودان الأوسط(٢).

أما على الصعيد الثقافي: وكانت هناك اتصالات فكرية –بعيدة المدى– بين بورنو وغيرها من البلاد الإسلامية وخاصة مصر، فالطلاب من بورنو عبروا الصحراء إلى الأزهر الشريف، حيث درس الكثيرون منهم على أيدي مشاهير العلماء المصريين آنذاك، وزاد عددهم زيادة كبيرة حتى كان لهم رواق في الأزهر يجمعهم هو رواق بورنو، وهؤلاء الدارسين كانوا يعودون إلى بلادهم لينشروا ما تعلموه بين أبناء وطنهم (٣).وقامت في مملكةبورنو ثقافة مزدهرة بالمقارنة مع جارتها بالدول الإفريقية، وكان قوام هذه الثقافة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فأصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية التي تصدر بها المراسيم وأطلقوا عليها المحارم, واستخدمت في شتى النواحي، وساعد في ذلك اتصالها بالحضارات الإسلامية في البلدان المجاورة، وعلى رأسها مصر، وبلاد المغرب العربي، وبذلك استطاعت أن تبني معها علاقات ثقافية وطيدة، كما تمكنت من استيعاب وهضم الكثير من أسباب الحضارة فيها(٤).

ومما تقدم يتبين:

---

(١) منى محمد عادل: مرجع سابق, ص١٥٤.

(٢) نفس المرجع , ص١٥٥ .

(٣) نفسه والصفحة.

(٤) مهدي آدامو: مرجع سابق, ص٢٨٥.

١- تركت بورنو تأثيراً حضارياً إسلامياًقوياً، في إمارات الهوسا؛ ذلك أن كثير من العلماء عاشوا في بورنو قد رحلوا إلى إمارات الهوسا، وبالأخص إمارة كانو.ومن أهم الكتب كتب الفقه المالكي.

٢- عمل سلاطين بورنو على تزويد المراكز العلمية في بلادهم بالكتب الدينية، وخاصة كتب الفقه المالكي، وكثير من المصاحف، وأيضاً دعوة العلماء من بلادهم بالتدريس في هذه المراكز، واستقدموا علماء كثيرين أهمهم جلال الدين السيوطي الذي كان له دور فعال في بلاد الهوسا.

٣- أدى أنتشار الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في بورنو, أثراً كبيراً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في إمارات الهوسا.

الخـــاتمـــة:

ختاماً لهذه الدراسة حول الصلات الثقافية لبلاد الهوسا مع كل من مصر والبورنو في القرن الثامن عشر الميلادي, قد توصل الباحث إلى جملة من النتائج, يمكن تلخيص أهما فيالآتي:

-اوضحت الدراسة بأن الموقع الجغرافي لبلاد الهوسا في مفارق طرق القوافل التجارية القادمة من الشمال الأفريقي عبر الصحراء إلى السودان الغربي, مما مكنهابأن يكون لها دوراً بارزاً في تجارة القوافل عبر الصحراء إلى السودان الغربي, مما أدى إلى اهتمام قبائل الهوسا بالتجارة الداخلية والخارجية, الأمر الذي جعلها تحتل مكانة اقتصادية هامة بين أسواق افريقيا الشمالية وممالك السودان الغربي, ولم تقتصر التجارة على تبادل السلع فحسب بل كانت وسيلة لنقل الأفكار ونشر الإسلام وحضارته.

- اثبتت الدراسة بأن علاقات بلاد الهوسا بالشمال الأفريقي والمشرق العربي إلى ما قبل الإسلام,اتسمت بطابع تجارياً. فقد تعرضت هذه المنطقة التي تتمتع بثروات طبيعية ضخمة للعديد من الهجرات من الأجناسالبشرية المختلفة الأغلبية من التجار البدو, إلا أنه بعداعتناق هؤلاء التجار الهوساويين الإسلام عن طريق احتكاكهم بالتجار المسلمين, كان عاملاً هاماً في زيادة وتعزيز التبادل التجاري بين بلاد الهوسا والشمال الإفريقي, فضلاً عن الدور الديني الذي لعبه التجار المسلمين العرب من خلال إعادة تصحيح مفاهيم الدين الإسلامي, حيث كان التجار

يحملون بضائعهم ومصاحبه لها أفكارهم الحضارية الإسلامية , فتلقفها منهم التجار الهوسا ونقلوها بدورهم إلى الممالك الأفريقية فيما وراء الصحراء .

– بينت الدراسة أن مصر هي المدخل والقاعدة الرئيسية التي انطلقت منها طلائع الفتوحات العربية الإسلامية للجزء الشمالي من القارة الأفريقية الذي كان عامراً بدول كثيرة منذ أن ظهر الإسلام وثقافته في الجزيرة العربية ودخل مصر وامتد أثره إلي معظم دول غرب ووسط أفريقيا, وأن من أهم العوامل التي جعلت مصر قبلة ومنارة علمية يقصدها أهالي السودان الغربي, وقوعها على طريق الحج, ووجود الأزهر الشريف بها.وقد سهلت الطرق التجارية عبر الصحراء الكبربفي الصلات ما بين العرب في المشرق العربي وشمال أفريقيا وشعوب بلاد ما وراء جنوب الصحراء وما أليها. وقد كان تجار قبائل الهوسا كانوا ركن أساسي في هذه المعاملات التجارية كتجار ووسطاء بين شمال الصحراء الكبرى والممالك الأفريقية جنوب الصحراء, فتأثروا بالثقافة العربية الإسلامية الوافدة إليهم من مصر شمالاً , وأيضاً من البورنو شرقاً, ونقلوها إلى السودان الغربي.

– تناولت الدراسة الآراء حول الجذور الأولى لنشأة وظهور جماعات الهوسا, وغالباً ما كانت تتضارب وتتناقض فيما بينها وكان لكل رأى حجته وبرهانه., وأنكانت بعضالرواياتوالأساطيرالشفويةالمتواترة محلياً تؤكد أن أجداد الهوسا, قد خرجوا من ثقوب الأرض, وهذا يؤكد أن شعب الهوسا ليسوا دخلاء على المكان, وانما من نبت الأرض, إلا أن تعرضت المنطقة لهجرات بشرية مختلفة الاعراق والأجناسشملت القبائل العربية والصحراوية البربرية والصنهاجية وأيضا زنجية أفريقية, وقد حدث امتزاج واختلاطبين السكان الأصليين والوافدة من المشرق العربي والشمال الأفريقي, مما أدت إلى ظهور شعب الهوسا,ومن ثم تكونت إمارات الهوسا السبعة, ولم تكن تمثل دولة بمضمونها الشامل, من حيث القوة لوضع حد للحروب الصغيرة المتكررة بين إمارتهم الصغيرة أو تجعلهم قادرين على الوقوف أمام غزوات جيرانهم. إذ أدى الصراع بين الامارات الهوساوية إلى التفرقة وعدم الاستقرار,وعدم التركيز على النواحي الثقافية أو الدينية. وصار الدين الإسلامي غريبا بين السكان, واختلطت العادات والمورثات الوثنية بالتقاليد الإسلامية, وصار الحكام يحملون لقب المسلمين شكلا دون فهم واع لأصول هذا الدين.

– اوضحت الدراسة أن من العوامل التي ساهمت في الصلات الثقافية لبلاد الهوسا مع مصر والبورنو هي:الطرق, التجارة والتجار, وانتشار الإسلام, والدعاة والعلماء والأئمة, وقوافل الحج, والطرق الصوفية. وقد أدت الطرق التجارية الممتدة بين الشمال الأفريقي وغربها دوراً هاماً, إذ

سهلت حركة القوافل التجارية القادمة من المشرق العربي والشمال الأفريقي عبر الصحراء الكبرى إلى مناطق دول جنوب الصحراء وما بعدها, للتبادل المنتجات السلعية والمعاملات التجارية منذ القدم. وهي نفسها التي ارتدتهاالهجرات البشرية من شتى انحاء القارة طلباً لحياة أفضل أو هروباً من صراعات وحروب القبائل المختلفة. ونتيجة لذلك توافد وعاش في المنطقة, خليط من الأجناس البشرية ذات أصول عرقية متعدد. وهي الطرق نفسها التي خطتها حوافر الخيولطلائع الفتوحات الإسلاميةإلى تلك المناطق الشمال الأفريقي وأطرافتخوم جنوب الصحراء الكبرى, لنشر الدين الإسلامي وحضارته بشكل سلمي منذ أواخر القرن الأول للهجرة /السابع للميلاد, وكانت قوافل الحج إلى الأماكن المقدسة جعل من الضروري البحث عن طرق أقرب للوصول إلى هذه الجهات, وكانت هذه الطرق نفسها مسلكاً إلى مصر بموقعها الاستراتيجي كمحطة رئيسية للتجار واستراحة للحجاج من عناء رحلة السفر, ولم تكن طرق الصحراء الأفريقية رغم صعوبتها عاملا يعوق حركة التجار والعلماء والأئمة وأهل الصوفية وقوافل الحج, بل كانت أحدى الوسائل الهامة في توطيد الصلات التجارية والثقافية لبلاد الهوسا مع مصر والبورنو, فقامت علاقات وصلات ثقافية بين الشعوب شمالها وجنوبها , وتنامت المراكز التجارية والثقافية العديدة على طول طرق الموصلات المؤدية إلى مصر, وكذلك البورنو.

– أثبتت الدراسة أن مصر – ولا زالت – مكانا يقتصده شتى المسلمين من جميع أنحاء العالم؛ لوجود الأزهر الشريف، كمنارة علم لدى سكان غرب أفريقيا, بل القارة الافريقية, أدى إلى أنتشار التعليم واللغة العربية الذي لاقى قبولاً عند القبائل الهوسا، وظهر أثرها في لغةالهوسا, كذلك ظهور طبقة من المثقفين العلماء والقضاة ساهموا في إدارة شئون البلاد, بفضل الصلات الثقافية الخارجية لإمارات الهوسا الخارجية مع مصر. كذلك تفضيل شعوب غرب إفريقيا طريق مصر كطريق للحج، وقد تبع ذلك وجود العلاقات والصلات الثقافية بين مصر وغرب القارة.

– من التقاليد الراسخة التي ظلت لصيقة بالتاريخ العلمي والاجتماعي للأزهر كجامعة أنه أفرد لكل جنسية وأهل إقليم من طلابه الذين وفدوا إليه من شتى العالم الإسلامي "رواقاً" يقيمون فيه إقامة دائمة بالمجان طوال السنوات التي كانوا يقضونها في رحابه, فتعد أروقة الأزهر رمز تاريخي وحضاري يشهد بعالمية الأزهر ودوره العلمي والاجتماعي على مر العصور , ينهل الطلاب منه العلوم مثل؛ أصول الفقه – والتفسير والحديث – والنحو – والمعاني والبيان , وقد خصص أروقة الوافدين منها, رواق البورناوية (البورنو) وكان مخصصاً للطلبة من غرب أفريقيا كالسنغال, والنيجر, وغينيا, وساحل الذهب(غانا).

– أبرزت الدراسة, ظهور مراكز ثقافية في بلاد الهوسا في القرن ١٢هـ/١٨م التي لعبت دوراً بارزاً في إمارات الهوسا لأثراء الحركة العلمية والثقافية, ومن أهم هذه المراكز كانووكاتسينا وكان العلماء ينتقلون إليها إما للتدريس أو لتحصيل العلم , وبفضل ظهور هذه المراكز العلمية بالهوسا جعل علمائها يهتمون بالعلم ويرفعونه إلى الأمام, وخصوصاً أن المذهب المالكي طغى عليها, فقد أهتموا بالسنة النبوية الشريفة اهتماما كبيرا, حتى أنهم قاموا بترجمة بعض كتب الحديث إلى لغة الهوسا, ليبرزوا اهتمامهم بها.

– بينت الدراسة أن موقع سلطنة بورنو جنوب غرب بحيرة تشاد، في وادي متسع ذات تربة غنية سوداء، والمجاور لبلاد الهوسا من الجهة الشرقية, فقد بدأت الاتصالات بين الهوسا وشعوب الكانوري، منذ القدم, وكانت هذه الشعوب قد اتسع مداها عندما استقرت لمدة طويلة في البورنو جنوب غرب بحيرة تشاد. حيث ظهرت روابط تجارية قوية وصلات وطيدة مع إمارات الهوسا؛ بالإضافة لظروف سيادة سياسية لبسط نفوذ بورنو على بعض إمارات الهوسا، قد مارست نفوذاً سياسياً على كاتسينا وأجبرتها أيضاً على إرسال إتاوة سنوية بمائة "عبد" . وبعض إمارات الهوسا الأخرى, حيث كانت ترسل جزيتها إلى دورا ومنه البورنو. وتكتسي العلاقات بورنو في تاريخ بلاد الهوسا أهمية فائقة؛ لأنه من هذه العلاقات استعيرت عدة عناصر ثقافية وأفكار جديدة صارت فيما بعد جزء لا يتجزأ من ثقافة الهوسا وحضارتها. وكانت تأثيرا تبورنو الإسلامية مسلطة على كانو منذ أمد بعيد, كما تثبته الحجج اللغوية: فقد كانت هنالك كلما تعربية كثيرة مرتبطة بالدين أدخلت إلى الهوسا بواسطة الكانوري. وهذا مما يشير إلى أنصلات الهوسا معبورنوساه مفيد خول الإسلام .

– بينت الدراسة, قد نمت في بلاد الهوسا في وقت مبكر, التجارة على المسافات البعيدة. إلا أن الموقع الجغرافي لبورنو والمجاور من بلاد الهوسا في الشمال الشرقي, كانت التجارة القائمة بين الهوسا وبورنو أثرها في تشجيع الحركة العلمية والفكرية في البلاد؛ فالعلماء والطلاب لم يكن ليقدر لهم الذهاب إلى تلك البلاد إلا بصحبة القوافل التجارية التي كانت تشق طريقها من غرب القارة إلى الشمال، كذلك فإن المصاهرة، والاندماج، والكتب الإسلامية، والمساجد، ترك تأثرا كبيرا في تبادل المعرفة والثقافة الإسلامية بين الهوسا والبورنو.

الخريطة رقم (١)

إمارات الهوسا في عام ١٧٨٠م

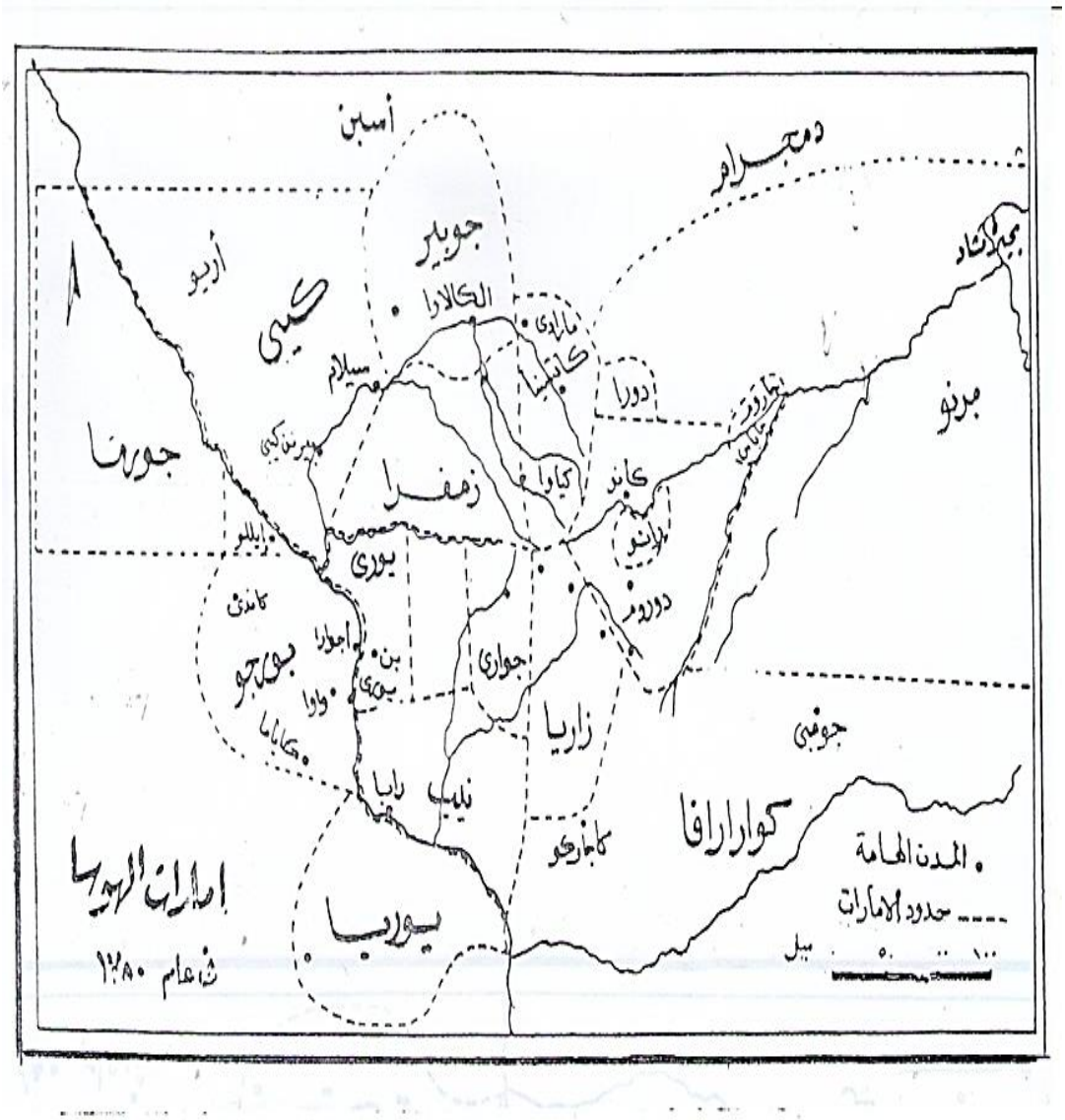

المصدر: الطيب عبدالرحيم محمد الفلاتي: الفلاتة في أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان, ط١, دار الكتاب الحديث, الكويت, ١٤١٥هـ/١٩٩٤م, ص٣١.